

الإنجيل

obeikandi.com

## مفتتح

كثيرون من قراء الأنجيل يشعرون بالحرج بل بالحيرة عندما يتأملون في معنى بعض الروايات أو عندما يقارنون روايات مختلفة لحدث واحد مروى في كثير من الأنجيل . تلك هي الملاحظة التي يقدمها الأب روجي R.P. Roguet في كتابه . «مقدمة إلى الإنجيل»<sup>(١)</sup> "Initiation a l'Evangile" . إن التجربة الثرية التي اكتسبها هذا الكاتب ، حيث إنه كان لسنوات طويلة مكلفاً بالرد في جريدة أسبوعية كاثوليكية على قراء الأنجيل الذين تحيرهم النصوص ، هذه التجربة قد سمحت له أن يدرك مدى أهمية الاضطراب الذي يشعر به قراء الأنجيل . ويلاحظ أن طلبات الشرح التي يبعث بها محدثوه ، الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية وثقافية شديدة التنوع ، تنصب على نصوص يراها القراء «مبهمة غير مفهومة بل حتى متناقضة وعشبية أو فاضحة» . إذن ليس هناك شك في أن قراءة النصوص الكاملة للأنجيل قادرة على إثارة اضطراب عميق لدى المسيحيين . وهذه ملاحظة قريبة العهد : فقد نشر كتاب الأب روجي عام ١٩٧٣ . وفي عصور ليست بعيدة تماماً كانت أغلبية المسيحيين لا تعرف من الأنجيل إلا مقاطع مختارة تقرأ عند القداس أو المواعظ . وإذا وضعنا حالة البروتستانت جانباً فإنه لم تكن قراءة الأنجيل في كليتها أمراً سائداً فيما عدا بعض المناسبات . إن كتب التعليم الديني لم تكن تحتوى إلا على مقاطع مختارة من الأنجيل ولم يكن هناك تداول للنص بأكمله . وفي أثناء دراساتي الثانوية بإحدى المدارس الكاثوليكية وقعت يدي على مؤلفات لفرجيل وأفلاطون ، ولكن لم يحدث أبداً أن وقعت يدي على العهد الجديد . ومع ذلك فالنص اليوناني للعهد الجديد كان يمكن أن يكون مفيداً . وبعد ذلك بفترة طويلة أدركت لِمَ لم يعطنا مدرسوننا واجبات ترجمة من الكتب المقدسة المسيحية . كان يمكن أن نقودنا هذه الكتب إلى أن نطرح على أساتذتنا أسئلة الرد عليها محرج .

هذه المكتشفات التي ينتهى إليها امرؤ ذوروح نقديّة عند قراءة الأناجيل بأكملها قد قادت الكنيسة إلى التدخل لمساعدة القراء للتغلب على حيراتهم . « كثير من المسيحيين يحتاجون إلى تعلّم قراءة الأناجيل » على حد قول الأب روجي . وسواء اختلف المرء أو اتفق مع التفسيرات التي تعطى فإن جدارة الكاتب كبيرة حقاً في مواجهة المشاكل الحرجة . ولكن مما يؤسف له أن الأمر ليس كذلك دائماً فيما يختص بكثير من الكتابات الخاصة بالتنزيل المسيحي .

ففي منشورات التوراة الموجهة للانتشار الواسع نجد أن الملاحظات الأولية تعرض في غالب الأحيان مجموعة من الاعتبارات تنحو إلى إقناع القارئ بأن الأناجيل لا تطرح بتاتاً مشاكل تتعلق بشخصية كتاب مختلف الأسفار وبصحة النصوص وبالطابع الحقيقي لهذه الروايات . وعلى حين توجد كثير من الجاهيل بالنسبة لكتاب لم تتأكد من هويتهم ، فإننا نجد كثيراً من التحديدات في هذا النوع من الملاحظات التي كثيراً ما تقدم ما ليس إلا مجرد فرض على أنه أمر يقيني ، مؤكدة أن هذا المبشر أو ذلك كان شاهداً عياناً لأحداث محددة على حين تدعى دراسات متخصصة عكس ذلك . إن المسولين يقللون بشكل مبالغ فيه الفترة الزمنية الواقعة بين نهاية رسالة المسيح وبين ظهور النصوص . يريدون إيهام الناس بوجود صيغة واحدة اعتمدت على تراث شفهي على حين أثبت المتخصصون أن هذه النصوص قد أصابها تعديلات كثيرة ، ويتحدثون هنا وهناك عن بعض مصاعب التفسير ولكنهم يغضون النظر عن المتناقضات البينة التي تقفز إلى عيني من يتأمل . يلاحظ القارئ في المعاجم الصغيرة الملحقة بالمقدمات المطمئنة أن الأمور غير المعقولة أو المتناقضات أو الأخطاء الصارخة كثيراً ما تتجنب أو تخنق بحجج مديحية بارعة . وإنه لما يروع القارئ هذا الحال من الأمور الذي يبين بجلاء الطابع الخداع لهذه التعليقات .

إن الاعتبارات المدروسة هنا ستهش - ولاشك - القراء الذين لم يحيطوا علماً بعد بهذه المشكلات . ولذا وقبل أن ندخل في صميم الموضوع ، آمل أن أوضح غرضي من الآن وذلك بمثال يبدو لي أنه يبرهن تماماً على ما نقول .

لا متي ولا يوحنا يتحدثان عن صعود المسيح . أما لوقا فإنه يحدده بيوم القيامة في إنجيله

وبعد أربعين يوماً في « أعمال الرسل » التي يقال إنه كاتبا . أما فيما يخص مرقس فإنه يشير إليه (دون تحديد تاريخه) ، وذلك في خاتمة تعتبر حالياً غير صحيحة . وعلى ذلك فليس للصعود أى قاعدة كتابية متينة . برغم ذلك فإن المعلقين يتعرضون لهذه المسألة الهامة باستخفاف لا يصدق .

إن ا . تريكو A. Tricot لا يكرس مقالاً عن الصعود في « المعاجم الصغيرة للعهد الجديد » من الكتاب المقدس طبعة كرامبون Crampon ، وهو كتاب واسع الانتشار<sup>(١)</sup> أما طبعة الأنجيل الأربعة المتوافقة Synopse des Quatres Evangiles التي قام بها الأبوان بينوا ويومار R.R.P.P. Benoit et Boismard ، الأستاذان بمدرسة الكتاب المقدس بالقدس<sup>(٢)</sup> ، فإنها تعلمنا في الجزء الثاني منها (ص ٤٥١ و ٤٥٢) أن التناقض ، عند لوقا ، بين إنجيله و « أعمال الرسل » يرجع إلى « حيلة أدبية » . وليفهم من يفهم . . !

أما الأب روجي فإنه ، على ما يبدو ، لم يخضع لإجراء مثل هذه الحجة . ومع ذلك فأقل ما يمكن أن يقال عن التعليل الذي يعطينا إياه هو أنه فريد . يقول الأب روجي في كتابه « مقدمة إلى الإنجيل » ، طبعة ١٩٧٣ (ص ١٨٧) : « إن المشكلة هنا ، كما في كثير من المشاكل المشابهة ، لا تبدو غير قابلة للحل إلا إذا أخذ المرء بحرفية دعاوى الكتاب المقدس ونسى دلالتها الدينية . ليس المقصود هو حل واقع الأمور برمزية مائة ، وإنما المقصود هو البحث عن النية الدينية لدى هؤلاء الذين يكشفون لنا الأسرار بتقديم أمور محسوسة وعلامات خاصة بالجذور المادية لعقلنا » .

كيف نكتفي بمثل هذا التفسير . . ؟ إن الصيغ المديحية من هذا النوع لا يمكن أن تصلح إلا للمؤمنين بلا قيد ولا شرط .  
إن أهمية عبارة الأب روجي تكمن أيضاً في اعترافه بوجود « حالات كثيرة مشابهة » لمسألة الصعود في الأنجيل . وإذن فيجب التعرض للمشكلة بشكل شامل ومن جدورها

وبمتهى الموضوعية . يبدو أن من الحكمة إذن البحث عن توضيحات في دراسة الظروف التي كتبت الأناجيل في ظلها وفي دراسة المناخ الديني الذي كان سائداً في ذلك العصر . إن توضيح التعديلات التي وقعت على الصيغ الأولى التي تمت بالاعتماد على التراث الشفهي ، وتوضيح التحريفات التي حدثت للنصوص إلى أن وصلت إلينا ، كل ذلك من شأنه أن يخفف من الشعور بالدهشة أمام عبارات مبهمه غير مفهومة ومتناقضة لا يدركها العقل ، بل قد تذهب في بعض الأحيان إلى حد العبث واستحالة أن تتفق مع الوقائع التي أثبتتها اليوم التقدم العلمي . مثل هذه الملاحظات تدل على مساهمة الإنسان في عملية تحرير النصوص وعلى التعديل الذي أصابها بعد ذلك .

والأمر الواقع الآن هو أنه منذ عشرات من السنوات حدث اهتمام بدراسة الكتب المقدسة بروح بحث موضوعي . وفي كتاب ظهر منذ عهد قريب ، بعنوان « الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان (1) *Foi en la Resurrection, Re surrection de la Foi* يعطى الأب كانينجسر R.P. Kannengiesser الأستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس ، لمحة عن هذا التغير العميق . يقول « يكاد شعب المؤمنين ألا يعرف بهذه الثورة التي حدثت في مناهج تفسير التوراة منذ عصر بي الثاني عشر *Pie XII 1939 - 1958* » . إن « الثورة » التي يتحدث عنها المؤلف قريبة من عهدنا إذن . وقد بدأت امتداداتها تصل إلى تعليم المؤمنين ، يقوم بهذا على الأقل بعض المتخصصين الذين يحركهم روح التجديد . ويقول المؤلف أيضاً : « إن هذه الثورة في مناهج التفسير تفتح الطريق بشكل يقل أو يكثر لانقلاب في أرسخ رؤى تقليد الوعظ والإرشاد الكنسيين » .

ويحذر الأب كانينجسر من أنه « لم يعد واجباً الأخذ بحرفية » الأحداث الواردة عن المسيح في الأناجيل فهي « كتابات ظرفية » أو « خصامية » . . « يذكر » كتابها « أقوال جماعة كل منهم عن المسيح » . وفيما يختص بقيامة المسيح ، وذلك هو موضوع كتابه ، يشير الأب كانينجسر إلى استحالة أن يعطى أي كاتب من كتاب الأناجيل لنفسه صفة الشاهد العيان . وهو بذلك يدع للفهم الضمني أن بقية حياة المسيح العامة . يبدو أن ينظر إليها بنفس

الشكل ، حيث إنه ليس هناك أى حوارى — باستثناء يهوذا الأسخريوطى — قد انفصل عن السيد منذ اللحظة التى تبعه فيها حتى آخر أعماله على هذه الأرض .

ها نحن أولاء إذن بعيدون تماماً عن المواقف التقليدية التى كان يؤكد بها بالتبجيل مجمع الفاتيكان الثانى منذ عشر سنوات بالكاد والتى تستأنفها الكتب الحديثة الموجهة لعامة المؤمنين . ولكن الحقيقة تخرج إلى النور شيئاً فشيئاً .

وليس من السهل إدراكها فثقل حقاً وزن التقاليد الموروثة التى دافع عنها بشراسة . وإذا أردنا أن نتحرر من هذا الثقل فيجب الأخذ بالمشكلة من القاعدة أى أن تدرس أولاً الظروف التى سادت ميلاد المسيحية . .

## تذكرة تاريخية

### اليهودية — المسيحية وبولس

تعتقد غالبية من المسيحيين أن كتاب الأناجيل شهود عيان على حياة المسيح وأنهم بهذا قد أقاموا شهادات لا تقبل الجدل عن الأحداث التي وقعت في حياته وتبشيره . فكيف يمكن للمؤمن، عندما يواجه مثل ضمانات الصحة هذه ، أن يناقش المعلومات التي قد تخرج منها ؟ كيف يمكن للمؤمن أن يشك في قيمة المؤسسة الكنسية التي نشأت بفضل تطبيق التوجيهات العامة التي أعطها المسيح . إن طبعات الأناجيل الحالية الموجهة للعامة تحتوي على تعليقات تهدف إلى نشر هذه المعلومات بين الجمهور .

فالمستولون عن هذه الطبعات يقدمون صفة شهود العيان من محرري الأناجيل باعتبارها أمراً بديهياً . ألم يكن القديس جوستين ، في منتصف القرن الثاني ، يطلق على الأناجيل اسم «مذكرات الرسل» . . ؟ ثم إن التحديدات التي تعلن على الملأ والتي تخص المحررين هي من الكثرة بحيث إن المسيحي يتساءل كيف يمكن الشك في صحتها : على سبيل المثال يقال إن متى كان شخصية معروفة ، « كان موظفاً بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم » ، بل يقال أيضاً إنه كان يعرف الآرامية واليونانية . وأما مرقس فهويته معروفة تماماً باعتباره مساعد بطرس : فلا شك إذن أنه كان شاهد العيان . وأما لوقا فهو هذا « الطبيب العزيز » الذي يتحدث بولس عنه ، والمعلومات عنه دقيقة جداً . وأما يوحنا فهو الرسول القريب دائماً من المسيح وهو ابن زبيد ، الصياد ببحيرة كثروث (Génésareth) . إن الدراسات الحديثة عن بدايات المسيحية تظهر أن هذه الطريقة في تقديم الأمور لا تتفق مطلقاً مع الواقع . وسنرى فيما بعد ما يخص كتاب الأناجيل من هذا الأمر . أما فيما يتعلق بعشرات السنوات التي تلت رسالة المسيح فيجب على القارئ معرفة أن الأحداث لم تقع مطلقاً كما قيلت وأن وصول بطرس إلى روما لم يؤسس مطلقاً الكنيسة . بل على العكس فين اللحظة التي غادر فيها المسيح هذه الأرض وحتى منتصف القرن الثاني ، أي طيلة أكثر

من قرن، كانت هناك معركة بين اتجاهين : أى بين ما يمكن تسميته بالمسيحية البولسية وبين اليهودية — المسيحية . ولم يجل الاتجاه الأول محل الثانى ولم تنتصر البولسية على اليهودية — المسيحية إلا بشكل شديد التدرج .

وهناك عدد كبير من الدراسات التى تعود إلى العقود الأخيرة ، قد تأسست على مكتشفات عصرنا وهى التى سمحت بالوصول إلى هذه المعلومات الحديثة التى يرتبط بها اسم الكاردينال دانيلو Danielou . إن المقال الذى نشره فى ديسمبر ١٩٦٧ بمجلة «دراسات Etudes» هو «رؤية جديدة للأصول المسيحية واليهودية — المسيحية» تستأنف الأبحاث السابقة : إنه يضع خطوط تاريخ المسيحية ويسمح لنا بتحديد ظهور الأناجيل وذلك فى سياق يختلف تماماً عن ذلك الذى تقول به المعلومات الموجهة لعامة الجمهور . وسيجد القارئ فيما يلى تلخيصاً للنقاط الجوهرية لهذا المقال مع فقرات كبيرة منه .

كونت «مجموعة الحوارين الصغيرة بعد المسيح» طائفة يهودية تمارس ديانة المعبد وتحفظ تعاليمها . ومع ذلك فعندما تنضم إليها طائفة الذين آمنوا من الوثنيين فإنها تقترح عليهم ، إن جاز القول ، نظام خاص : إذ يجلهم مجمع القدس المسكونى (٤٩ م) من الطهارة ومن تطبيق الأركان اليهودية ، ورفض كثير من اليهود — المسيحيين هذا التنازل . وانفصلت هذه المجموعة تماماً عن بولس . بل أكثر من ذلك فقد اصطدم بولس واليهود — المسيحيون بسبب الذين أتوا إلى المسيحية (أحداث أنطاكية عام ٤٩ م) «فالتطهارة ومراعاة الراحة يوم السبت وديانة المعبد كانت أموراً بالية ، فى نظر بولس ، حتى بالنسبة لليهود أنفسهم . فيجب على المسيحية أن تتحرر من انتماؤها السياسى والدينى إلى اليهودية حتى تفتح ذراعيها لغير اليهود» .

أما اليهود — المسيحيون الذين ظلوا «يهوداً مخلصين» فإنهم يعتبرون بولس كخائن : وتصفه واثق يهودية — مسيحية «بالعدو» وتهمه بتواطؤ تكتيكى . ولكن «اليهودية — المسيحية كانت تمثل حتى عام ٧٠ م غالبية الكنيسة» و«كان بولس منعزلاً فى ذلك الوقت . كانت رئيس الجماعة جاك Jacques قريب المسيح . وكان معه (فى البداية) بطرس ثم يوحنا . «ويمكن اعتبار جاك Jacques كعمود اليهودية المسيحية الذى ظل ،

عن إرادة ، ملتزماً بخط اليهودية أمام المسيحية البولسية . إن أسرة المسيح تحتل مكانة كبيرة في هذه الكنيسة اليهودية المسيحية بالقدس . « وقد خلف سيمون Siméon جاكا Jacques وهو ابن كاليوبا ابن عم (?) للمسيح » .

ويذكر الكاردينال دانيلو في مقاله الكتابات اليهودية — المسيحية التي تقدم نظرات هذه الجماعة عن المسيح ، تلك الجماعة التي تكونت أولاً حول الحوارين . وهذه الكتابات هي إنجيل العبرين (الذي يعود إلى جماعة يهودية مسيحية مصرية) « ومأثورات كليمنت Hypotyposes de Clément » و« الفضائل الكليمنتية Reconnaissances Clémentines » و« نهاية العالم الثانية لجاك Seconde Apocalypse de Jacques » وإنجيل توما<sup>(١)</sup> و« Evangile de Thomas » وكما يبدو فإنه من الواجب أن نعزو إلى هؤلاء اليهود — المسيحيين أقدم مخطوطات الأدب المسيحي التي يشير إليها الكاردينال دانيلو بالتفصيل . يقول : « لم تكن اليهودية — المسيحية سائدة فقط بالقدس وفلسطين طيلة القرن الأول للكنيسة . فقد تطورت البعثة اليهودية — المسيحية ، فيما يبدو ، في كل مكان قبل البعثة البولسية . وذلك هو ما يوضح الإشارة الدائمة في رسائل بولس إلى صراع ما » . إنهم نفس الأعداء الذين قابلهم حينما ذهب ، بغلاطية ، وكورنثة وكولوس وروما وأنطاكية . كان الساحل السوري — الفلسطيني ، من غزة إلى أنطاكية ، يهودياً مسيحياً كما تشهد بذلك أعمال الرسل والكتابات الكليمنتية » . وفي آسيا الصغرى فوجود اليهود — المسيحيين ، تشهد به رسائل بولس إلى الغلاطيين والكولوسيين . أما كتابات بانياس فهي تعطي معلومات عن اليهودية المسيحية بفرجي . وفيما يخص اليونان فتذكر رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس اليهود المسيحيين وبابولوس على وجه خاص . وتعد روما « مركزاً هاماً » حسب رسالة كليمنت وراعي هرمياس . ويرى سويتون Sue'tone وتاسيت Tacite أن المسيحيين يشكلون طائفة يهودية . ويعتقد الكاردينال دانيلو أن أول تبشير بالأناجيل في أفريقيا كان يهودياً — مسيحياً . وإلى اليهودية المسيحية يعزى أيضاً إنجيل

(١) مما يجدر ملاحظته أن هذه الكتابات سيحكم عليها بأنها مرورة ، أي مستوحاة من apocryphes للإخفاء ، وقد فعلت هذا الكنيسة المنتصرة التي ولدت بانتصار بولس . ولقد قامت بعمليات قطع في الأدب الإنجيلي ولم تحفظ إلا بالأناجيل الأربعة القانونية .

العبرين وكتابات كلیمت الإسكندری .

إن معرفة هذه الوقائع أمر رئيسی حتى نفهم فی أى جو من الصراع بین الجماعات حررت الأناجيل . إن خروج النصوص التى نملكها اليوم إلى النور قد بدأ فی عام ٧٠ م ، بعد تعديلات فی المصادر ، وهى الفترة التى كانت الجماعتان المتنافستان فی أوج صراعهما وكانت السيادة فی ذلك الوضع لليهود المسيحيين . ولكن الموقف انقلب تماماً بسبب حرب السبعين وسقوط القدس . ويشرح الكاردينال دانيلو أسباب الانهيار كما يلي :

« لما كان اليهود منبوزين فی الإمبراطورية فقد نحا المسيحيون إلى الانفصال عنهم عندئذ ساد المسيحيون الهلينيستكيون : لقد حاز بولس على النصر بعد وفاته . بهذا انفصلت المسيحية اجتماعياً وسياسياً عن اليهودية لتكون ما يعرف بالشعب الثالث . برغم ذلك ، وحتى آخر التمرد اليهودى عام ١٤٠ م كانت اليهودية المسيحية سائدة ثقافياً » .

ومن عام ٧٠ م وحتى فترة تحدد بما قبل عام ١١٠ م نتجت أناجيل مرقس ومتى ولوقا ويوحنا . ولا تشكل هذه الأناجيل أولى الوثائق الثابتة فی المسيحية : فرسائل بولس سابقة عليها . وفى رأى ا . كولمان O. Culmann أن بولس قد كتب عام ٥٠ م رسالته إلى أهل تسالونيكى . ولكن لا شك أنه كان قد مات منذ عدة سنوات عندما انتهى إنجيل مرقس .

وإذا كان بولس أكثر وجوه المسيحية موضعاً للنقاش ؛ وإذا كان قد اعتبر خائناً لفكر المسيح ، كما وصفته بذلك أسرة المسيح والحواريون الذين بقوا بالقدس حول جاك Jacques . فذلك لأنه قد كون المسيحية على حساب هؤلاء الذين جمعهم المسيح من حوله لنشر تعاليمه . ولما لم يكن قد عرف المسيح فى حياته فقد برر لشرعية رسالته بأن أكد أن المسيح بعد قيامته قد ظهر له على طريق دمشق . ومن المسموح به أن نتساءل ما كان يمكن للمسيحية أن تكون عليه دون بولس ، ونستطيع فى هذا المقام أن نقيم افتراضات كثيرة . ولكن ، فيما يخص الأناجيل ، فليست هناك مجازفة كبيرة فى أنه لولا جو الصراع بين الطوائف التى ولدت بسبب انشقاق بولس ، لما حصلنا على الكتابات التى فى حوزتنا اليوم . إن هذه « الكتابات الخصامية » ، كما يصفها الأب كانيجر ، قد ظهرت فى فترة صراع

حاد بين الطائفتين ، وانبعثت من حشد كتابات عن المسيح . ففي هذا العصر شكلت المسيحية البولسية بعد نصرها النهائي مجموعة نصوصها الرسمية أى « القانون » Canon الذى يستبعد كل الوثائق الأخرى التى لم تكن توافق الخط الذى اختارته الكنيسة وبعدها معاكسة للأورثوذكسية .

وبرغم أن اليهود — المسيحيين « قد اختفوا كطائفة ذات نفوذ فقد ظل الحديث عنهم جارياً ولكن تحت اسم « المستهودين » Judaisants . ويتحدث الكاردينال دانيلو عن نهايتهم كما يلى :

« بانقطاع اليهود — المسيحيين عن الكنيسة الكبرى التى تحررت تدريجياً من روابطها اليهودية سرعان ما فنوا فى الغرب . ولكن يمكن اقتفاء آثارهم من القرن الثالث إلى القرن الرابع بالشرق وخاصة فى فلسطين والجزيرة العربية ما وراء الأردن وسوريا وماين النهرين . وقد امتص الإسلام بعضهم ، وهو جزئياً وريث لهم ، وتحالف البعض الآخر مع أورثوذكسية الكنيسة الكبرى مع الاحتفاظ بخلفية ثقافية سامية . وهناك شئ منهم ما زال متشبهاً بالكنيستين الأثيوبية والكلدانية » .

## الأناجيل الأربعة

### مصادرها — تاريخها

لا تشير أولى كتابات العصر المسيحي إلى الأناجيل إلا بعد مؤلفات بولس بفترة طويلة جداً . فالشهادات المتعلقة بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية تظهر فقط في منتصف القرن الثاني وبالتحديد بعد عام ١٤٠ م ، ذلك على حين أن هناك «كثيراً من الكتاب المسيحيين يوحون بوضوح منذ بداية القرن الثاني بأنهم يعرفون عدداً كبيراً من رسائل بولس» . وهذه الملاحظات التي تعرضها «المقدمة إلى الترجمة المسكونية للعهد الجديد» ، المنشورة عام ١٩٧٢<sup>(١)</sup> تستحق أن تذكر على الفور ، كما يفيد التنويه إلى أن هذه الترجمة هي نتيجة عمل جماعي تضافر له أكثر من مائة متخصص من الكاثوليك والبروتستانت . إن الأناجيل التي أصبحت رسمية فيما بعد ، أي كنسية ، لم تعرف إلا في عصر متأخر برغم أن تحريرها كان قد تم في بداية القرن الثاني . وحسب الترجمة المسكونية ، فقد بدأ ذكر الروايات التي تنتمي إلى هذه الأناجيل في نحو منتصف القرن الثاني ، ولكن «يكاد يكون عسيراً التقرير بما إذا كانت هذه الاستشهادات قد تمت بعد الرجوع إلى النصوص المكتوبة التي كانت تحت يد الكتاب أو أنهم قد اكتفوا بذكر أجزاء من التراث الشفهي اعتماداً على الذاكرة» .

وفي تعليقات هذه الترجمة المسكونية للعهد الجديد يقرأ القارئ «أنه لا توجد ، على أي حال ، أي شهادة تقول بوجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية قبل عام ١٤٠ م» . وهذه الدعوى تناقض تماماً ما كتب ا. تريكو A. Tricot في التعليقات على ترجمته للعهد الجديد يقول : «ومنذ وقت مبكر جداً ، منذ بداية القرن الثاني ، استقر العرف على استخدام الكلمة «إنجيل» للإشارة إلى الكتب التي كان القديس جوستين ، في نحو ١٥٠ ، يسميها

Éditions du Cerf et les Bergers et les Mages, Editeurs, Paris. (١)

أيضاً « مذكرات الرسل Memoires des Apôtres » . ومما يؤسف له أن مثل هذه المزاعم تكرر كثيراً بحيث إن عامة الجمهور لا تعرف إلا معلومات خاطئة عن التاريخ الذى تم فيه جمع الأناجيل .

إن الأناجيل لم تكن كلا واحداً إلا بعد أكثر من قرن من انتهاء بعثة المسيح ولم يتم هذا فى وقت مبكر جداً كما يقال . والترجمة المسكونية ترجع إلى عام ١٧٠ م تقريباً التاريخ الذى اكتسبت فيه الأناجيل الأربعة صفة الأدب الكنسى .

أيضاً فإن دعوى جوستين التى تصف كتاب الأناجيل بالرسل لم تعد مقبولة اليوم ، كما سئزى ذلك .

أما فيما يتعلق بتاريخ تحرير الأناجيل فيؤكد ا . تريكو أن أناجيل متى ومرقس ولوقا قد حررت قبل عام ٧٠ م : وليس هذا مقبولاً ، ربما باستثناء إنجيل مرقس . إذن فهذا المعلق يحاول ، بعد معلقين آخرين ، أن يقدم محررى الأناجيل على أنهم رسل أو رفاق للمسيح ، وهو بهذا يقدم تواريخ التحرير إلى فترة تقارب كثيراً فترة حياة المسيح . أما فيما يتعلق بيوحنا ، الذى جعله ا . تريكو يعيش إلى ما يقرب عام ١٠٠ م . فقد اعتاد المسيحيون صورته التى تصوره دائماً على قرب شديد من المسيح فى ظروف رسمية ، ولكن من العسير حقاً التأكيد بأنه كاتب الإنجيل الذى يحمل اسمه . إن الرسول يوحنا (مثل متى) ، فى نظر ا . تريكو ومعلقين آخرين ، هو الشاهد الكفء المعترف به على الأمور التى سردها ، على حين لا تتمسك غالبية المعلقين بالفرض القائل بأنه هو الذى حرر الإنجيل الرابع .

وإذا كان من العسير اعتبار هذه الأناجيل الأربعة « كمذكرات » لرسل أو رفاق المسيح فما هو أصلها إذن . . ؟

يقول ا . كولمان O. Culmann فى كتابه « العهد الجديد » (١) إن المبشرين لم يكونوا إلا « متحدثين باسم الجماعة المسيحية الأولى التى ثبتت التراث الشفهى . فقد بقى الإنجيل طيلة ثلاثين أو أربعين سنة فى شكله الشفهى فقط أو بالكاد ، ولكن التراث الشفهى قد نقل

أساساً أقوالاً وروايات منعزلة . وقد نسج المبشرون - كل على طريقته وبجسب شخصيته الخاصة واهتماماته اللاهوتية الخاصة - الروابط بين هذه الروايات والأقوال التي تلقوها من التراث السائد . إن تجميع أقوال المسيح وربط الروايات بصيغ أسلوبية غامضة مثل « وبعد هذا » « وما إن . . » إلخ ، وبالاختصار ، إطار الأناجيل المتوافقة<sup>(١)</sup> *Evangiles Synoptiques* كحل هذا أدبي الطابع وليس له أساس تاريخي .

ويستأنف هذا الكاتب نفسه : « ويجب ملاحظة أن احتياجات التبشير والتعليم والممارسة الدينية هي التي دعت الجماعة الأولى إلى تثبيت هذا التراث عن حياة المسيح بأكثر من اهتمامها بتسجيل حياة المسيح . كان الحواريون يوضحون حقائق الإيمان الذي يحضون عليه بسر أحداث حياة المسيح . وإن مواعظهم هي التي خلفت ظروف تثبيت هذه الروايات . أما أقوال المسيح فقد انتقلت بشكل خاص عبر تعليم الكنيسة الأولى الديني » .

ولا يذكر المعلقون على الترجمة المسكونية مراحل تكون الأناجيل بشكل آخر وهو ما يلي : تشكل تراث شفهي بتأثير تبشير تلامذة المسيح ومبشرين آخرين ، بقاء هذه العناصر التي نجدها أخيراً في الأناجيل بفضل التبشير والطقوس وتعاليم المؤمنين ، ثم إمكانية التجسيد المبكر في شكل مكتوب لبعض تحديدات الإيمان ولبعض أقوال المسيح وروايات آلامه على سبيل المثال ، ثم استعانة المبشرين بهذه الأشكال المكتوبة المتنوعة كاستعانتهم بمعطيات التراث الشفهي حتى يكتبوا نصوصاً « تكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس وتعبر عن تأمل في الكتاب المقدس وتصحح الأخطاء وترد بهذه المناسبة على حجج الخصوم . بهذا الشكل جمع ودون المبشرون ، كل بجسب وجهة نظره ، ما قد أعطتهم إياه الأقوال المتوارثة الشفهية » .

إن هذا الموقف الجماعي المتخذ الذي صدر عن أكثر من مائة مفسر للعهد الجديد كاثوليك وبروتستانت ، يختلف بشكل متميز عن الخط الذي عرفه المجمع المسكوني للفاتيكان الثاني في دستوره العقائدي عن التنزيل ، هذا الدستور الذي أعد فيما بين ١٩٦٢ و ١٩٦٥ . ووجد القارئ أعلاه إشارة أولى إلى وثيقة المجمع هذه التي تتعلق بالعهد

(١) أى أناجيل مرقس ومتي ولوقا .

القديم . لقد استطاع المجمع المسكوني أن يعلن بشأن العهد القديم أن الأسفار التي تكونه «تحتوى على شوائب وشيئاً من البطلان» ولكنه لم يصنع أى تحفظات مثل هذه بالنسبة للأناجيل . بل بالعكس قالت الوثيقة ما يلي :

«لا يغفل على أى إنسان أن من بين كل الكتب المقدسة ، بل حتى كتب العهد الجديد ، كان هناك ما يتمتع عن حق بالامتياز مثل الأناجيل باعتبار أنها تكون شهادة حقيقية عن حياة ودرس الكلمة المجسدة أى منقذنا . فدائماً وفى كل مكان حفظت الكنيسة ومازالت الأصل الرسولى للأناجيل الأربعة . والواقع أن ذلك هو الذى دعا إليه الرسل بأمر المسيح ، فقد نقلوا إلينا أنفسهم والناس الذين كانوا يحيطون بهم وبتأثير من الوحي الإلهي للروح ، كتابات هى أساس الإيمان ونعنى الإنجيل المربع حسب متى ومرقس ولوقا ويوحنا» .

«إن كنيسةنا الأم المقدسة قالت وتقول بحزم وثبات دائم إن هذه الأناجيل الأربعة ، التى تؤكد تاريخيتها دون أى تردد . تنقل بشكل أمين فعلاً أقوال وأفعال المسيح طيلة حياته بين البشر لخلاصهم الأبدى وإلى أن رفع إلى السماء . . إن الكتاب الدينين إذن يؤلفون الأناجيل الأربعة بشكل يسمح بإعطائنا دائماً عن المسيح أموراً حقيقية ومخلصة» . هذا إذن تأكيد بلا أدنى غموض بأمانة نقل الأناجيل لأفعال وأقوال المسيح . وهنا لا يرى القارئ أى اتفاق بين دعوى المجمع المسكوني هذه ودعوى الكتاب المذكورين أعلاه ، وعلى وجه خاص تلك التى تقول إنه : «لا يجب الأخذ بحرفية الأناجيل فهى كتابات ظرفية وخصامية حدد محرروها كتابة تراث جماعاتهم عن المسيح» (الأب كانينجسر - R.P. Kannengiesser) .

الأناجيل إذن نصوص «تتكيف مع مختلف الأوساط وتستجيب لاحتياجات الكنائس وتعبر عن فكر ما عن الكتاب المقدس وتعديل من الأخطاء بل ترد بهذا على حجج الخصوم . وبهذا جمع المبشرون وحرروا ، كل حسب وجهة نظره الخاصة ، ما أعطاهم إياه التراث الشفهي» . (الترجمة المسكونية للعهد الجديد) .

وواضح تماماً أن التصريح المسكوني وهذه المواقف التى اتخذت منذ عهد قريب يضعاننا

بين دعاوى متناقضة . إذ لا يمكن التوفيق بين تصريح الفاتيكان الثاني الذي يقول : إننا نجد في الأناجيل نقلاً أميناً لأفعال وأقوال المسيح وبين وجود تناقضات في هذه النصوص وأمور غير معقولة واستحالات مادية ودعاوى معاكسة لأموال تم التحقق من صحتها .

وعلى العكس من ذلك فإذا نظر القارئ إلى الأناجيل على أنها تعبير عن وجهات النظر الخاصة بجماعي التراث الشفهي المنتمى إلى مختلف الجماعات ، وإذا نظر إليها القارئ على أنها «كتابات ظرفية أو خصامية» ، فإنه لن يدهش عندما يجد في الأناجيل كل هذه العيوب التي هي علامة صنع الإنسان في مثل هذه الظروف . قد يكون جامعو النصوص هؤلاء مخلصين تماماً بالرغم من أنهم يسردون أموراً لا يشكون في عدم صحتها ، عندما يقدمون لنا روايات تتناقض مع روايات كتاب آخرين أو عندما يقدمون روايات عن حياة المسيح بحسب نظرة مختلفة تماماً عن نظرة الخصم وذلك لأسباب تتعلق بالتنافس الديني بين جماعة وأخرى .

وقد رأينا أن السياق التاريخي يتفق مع هذه الطريقة الأخيرة في تصور الأناجيل فالمعطيات التي نملك عن النصوص نفسها تدعم هذا كلية .

### إنجيل متى

يحتل إنجيل متى بين الأناجيل الأربعة المكانة الأولى في نظام ترتيب أسفار العهد الجديد . وهي مكانة لها ما يبررها فهذا الإنجيل امتداد للعهد القديم بشكل ما : فقد كتب ليثبت أن المسيح «يكمل تاريخ إسرائيل» : يقول هذا المعلقون على الترجمة المسكونية وهي الترجمة التي سنستعير منها فقرات كبيرة . ولكي يحقق متى هذا الغرض فإنه يستشهد دائماً بفقرات من العهد القديم تشير إلى أن المسيح يتصرف كالمسيح الذي ينتظره اليهود .

وببدأ هذا الإنجيل بشجرة نسب المسيح<sup>(١)</sup> . ومتى يجعل المسيح ينتسب إلى إبراهيم عن طريق داود . وسنرى فيما بعد خطأ النص الذي يسكت عليه المعلقون عامة . وأياً كان الأمر فقد كانت نية متى واضحة في أن يعطى بنسب المسيح المهني العام لكتابه . إن متى

(١) سنناقش التناقض مع شجرة أنساب المسيح بإنجيل لوقا في فصل خاص .

يتابع نفس هذه الفكرة وذلك بتوضيحه الدائم لموقف المسيح إزاء القانون اليهودى ومبادئه العريضة من صلاة و الصوم وزكاة .

فالمسيح يريد أن يوجه تعاليمه أولاً وأولويةً إلى شعبه . وهو يحدد رسالته بهذه الكيفية . يحدث الحوارين : « إلى طريق الوثنيين ، لا تمضوا ، وإلى مدينة للسامريين <sup>(١)</sup> لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » . (إنجيل متى الإصحاح ١٠ الآيات ٥ و ٦) . « ولم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة » ( متى . الإصحاح ١٥ الآية ٢٤) . وبشكل ثانوى فإن متى يمد في خاتمة إنجيله إلى كل الأمم تبشير تلاميذ المسيح الأولين الاثنى عشر ، ويجعل المسيح يعطى الأمر التالى : « فاذهبوا وتلمذوا جمع الأمم » ، ( متى الإصحاح ٢٨ - الآية ١٩) . ولكن الارتجال يجب أن يتم بأفضلية الذهاب نحو « بيت إسرائيل ، ويقول تريكو عن هذا الإنجيل ما يلى : « تحت يونانية الثوب يكمن الكتاب يهودياً لحماً وعظماً وروحاً ، هو يحمل آثار اليهودية ويتسم بسماها المميزة . وهذه الاعتبارات وحدها تضع أصل إنجيل متى داخل الجماعة اليهودية المسيحية » التى تحاول ، على حد قول ا . كولمان ، « أن تقطع العلاقات التى كانت تربطها باليهودية مع الاحتفاظ فى نفس الوقت بنخط مستمر مع العهد القديم . إن نقاط الأهمية والنبرة العامة لهذا الإنجيل توحى بوجود وضع متوتر . »

وربما كان هذا النص متصلاً بعوامل ذات صفة سياسية . فالاحتلال الرومانى لفلسطين يحمى بالطبع رغبة البلد المحتل فى وقوع الاستقلال ، ولذا فهو يدعو الله إلى التدخل فى صالح الشعب الذى اختاره من بين كل الشعوب والذى هو ملكه الأكبر الذى يستطيع أن يأتى بعونه المباشر فى شئون البشر مثلاً فعل ذلك مرات كثيرة عبر التاريخ .

ما هى شخصية متى . . . ؟ لنقل صراحة إنه لم يعد مقبولاً اليوم القول إنه أحد حوارى المسيح . ويرغم ذلك يقدمه . . . ا . تريكو على أنه كذلك فى تعليقه على ترجمة العهد الجديد ( المنشورة عام ١٩٦٠ ) يقول : « اسمه متى ، واسمه قبل ذلك لىفى ، وكان عشاراً

(١) كان كتاب السامريين الدينى التوراة أو أسفار موسى الخمسة . وكانوا ينتظرون مجىء المسيح ويخلصون لمعظم تعاليم اليهودية وإن

كانوا قد بنوا معبداً بنافى معبد القدس .

أوجابيا بمكتب الجمارك أو ضرائب المرور بكفر ناحوم عندما دعاه المسيح ليجعل منه أحد تلامذته». وذلك ما كان يعتقد آباء الكنيسة مثل أوريجين وجيروم وإيغان. ولكن لم يعد أحد يعتقد هذا في عصرنا. وهناك نقطة لا جدال فيها وهي أن هذا الكاتب يهودي، ففردات كتابه فلسطينية، أما التحرير فيوناني. ويقول ا. كولمان إن الكاتب، أى متى، يخاطب «أناساً، وإن كانوا يتحدثون اليونانية، فإنهم يعرفون العادات اليهودية واللغة الآرامية».

أما بالنسبة للمعلقين على الترجمة المسكونية فإن أصل هذا الإنجيل يبدو كما يلي: «يقدر غالباً أن إنجيل متى قد كتب بسوريا وربما بأنطاكية (. . .) أو بفينيقيا، ففي هذه المناطق كان يعيش عدد كبير من اليهود<sup>(١)</sup> (. . .) وقد يمكن أن نستشف معركة فكرية ضد اليهودية المعبدية الأورثوذكسية الفريزية Pharisiens التي ظهرت بالمجمع الكنسي اليهودي بجامينا في نحو عام ٨٠ م. في ظل هذه الظروف يكثر عدد الكتاب الذين يؤرخون للإنجيل الأول بما بين عام ٨٠ و ٩٠ م أو ربما قبل ذلك بقليل ولا يمكن الوصول إلى يقين كامل في هذا الموضوع. ولما كان اسم المؤلف غير معروف بالتحديد، فالأنسب هو الاكتفاء ببعض الخطوط المرسومة في إنجيل متى نفسه ومنها: أن الكاتب معروف بمهنته وأنه متبحر في الكتب المقدسة والتراث اليهودي وأنه يعرف ويحترم رؤساء شعبة اليهود، وإن أغلظ في خطابه لهم، كما أنه أستاذ في فن التدريس وفي إفهام قول المسيح لمستمعيه مع تأكيد الدائم على النتائج العملية لتعاليمه. وإنه يتفق جيداً مع ملامح يهودي متأدب اعتنق المسيحية، وهو معلم حاذق «يخرج من كتزه جديداً وقديماً»، كما يشير إلى هذا إنجيله نفسه (الإصحاح ١٣، الآية ٥٢). تلك صورة بعيدة كل البعد عن صورة الموظف البيروقراطي بكفر ناحوم الذي يطلق عليه مرقس ولوقا اسم ليني والذي أصبح واحداً من حوارى المسيح الاثني عشر. . .

ويتفق الجميع على الاعتقاد بأن متى قد كتب إنجيله اعتماداً على مصادر مشتركة بينه

(١) تساءل البعض عما إذا كانت طائفة متى اليهودية - المسيحية تعيش بالإسكندرية. إن ا. كولمان يذكر هذا الفرض من بين

وبين مرقس ولوقا . ولكن روايته تختلف ، وفي نقاط جوهرية كما سنرى فيما يلي : ومع ذلك فقد استخدم متى بشكل واسع إنجيل مرقس الذى لم يكن أحد حوارى المسيح (١) . كولمان) .

يتصرف متى بجرية خطيرة مع النصوص . ويلاحظ ذلك بالنسبة للعهد القديم فيما يتعلق بنسب المسيح التى يضعها فى بداية إنجيله . وقد ألحق بكتابه روايات يستحيل بالدقة تصديقها . واستحالة التصديق تلك هى الصفة التى يستخدمها الأب كاتينجر فى كتابه المشار إليه عندما يتحدث عن رواية قيامة المسيح ، والمقصود بالتحديد هو الجزء الخاص بالحراس . فالكتاب يبرز عدم معقولية حكاية حراس القبر العسكريين « هؤلاء الجنود الوثنيين الذين يذهبون بتقريرهم ليس إلى رؤسائهم الموظفين وإنما يذهبون إلى كبار الكهنة الذين يرشونهم ليقولوا أكاذيب » . ومع ذلك فهو يضيف : « علينا أن نحاذر من السخرية ، ذلك أن نية متى نية جديرة بالإجلال حيث يدخل بطريقته الخاصة إلى مؤلفه المكتوب معطية قديمة من التراث الشفهى . هذا إخراج تمثيلى جدير بفيلم كفيلم « المسيح نجماً سينمائياً - Jesus-Christ Superstar »<sup>(١)</sup>

ولنذكر بأن هذا الحكم على متى صادر عن عالم لاهوتى مبرز ، وهو أستاذ بالمعهد الكاثوليكي بباريس . ويعطى متى مثلاً آخر على خياله الواسع فى سرده للأحداث التى توأكب موت المسيح . يقول :

« وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل . والأرض تزلزلت والصخور تشقق . والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين . وخرجوا من القبور بعد قيامته<sup>(٢)</sup> ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين » .

ليس لهذه الفقرة من إنجيل متى (الإصحاح ٢٧ الآيات من ٥١ إلى ٥٣) مثل فى الأناجيل الأخرى . ولا نرى كيف استطاعت أجساد القديسين المعينين أن تقوم عند موت

(١) فيلم أمريكى يشوه تاريخ المسيح .

(٢) قيامة المسيح .

المسيح (أى قبل يوم السبت كما تقول الأناجيل) وألا تخرج من قبورها إلا بعد قيامة عيسى (أى غداة السبت حسب نفس المصادر) .

وربما كان إنجيل متى هو الذى يحتوى على هذا القول الذى يتميز بعدم معقولة لا جدال فيها من بين كل الأقوال التى وضعها كتابها على لسان المسيح نفسه . يسرد متى حادثة آية يونس كما يلي : - (الإصحاح ١٢ - الآيات من ٣٨ إلى ٤٠) .

المسيح بين قوم من الكتبة والفريسيين يخاطبونه بهذه الألفاظ : « يا معلم نريد أن نرى منك آية » . فأجابهم المسيح : « جيل شرير وفاسق يطلب آية ! ولا يعطى له آية أخرى إلا آية يونس النبي . لأنه كما كان يونس فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . »

المسيح يعلن أنه سيظل يبطن الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال . ولكن متى ، ومعه لوقا ومرقس ، يحددون موت ودفن المسيح بما قبل السبت بيوم وهذا بالتأكيد يجعل المكوث بالأرض ثلاثة أيام (يقول النص اليونانى Treis emeras) . لكن هذه الفترة الزمنية لا يمكن أن تحتوى إلا على ليلتين وليس ثلاث ليال (يقول النص اليونانى Treis nuktas) (١) .

المعلقون على الأناجيل يسكتون فى غالب الأحيان أمام هذا الحدث . ومع ذلك فالأب روجى يبرز هذا الأمر غير المعقول ويلاحظ أن المسيح « لم يبق بالقبر » إلا ثلاثة أيام (منها يوم كامل فقط) وليلتين . غير أنه يضيف قائلاً : « التعبير جامد ولا يدل على شيء آخر إلا ثلاثة أيام » ، وأنه لما يحزن حقاً أن نلاحظ أن المعلقين ينزلون إلى استخدام مثل هذه الحجج التى لا تقول شيئاً إيجابياً ، على حين يشنى العقل الإيحاء بأن مثل هذه الكبيرة ربما تكون قد صدرت عن أخطاء أحد نساخ النص .

وبالإضافة إلى هذه الأمور غير المعقولة فإن ما يتميز به إنجيل متى أولاً وقبل كل شيء هو

(١) يشير متى مرة ثانية فى إنجيله إلى هذا الحدث ولكن دون تحديد زمنى (١٦ : ١ - ٤) . ونفس الأمر بالنسبة للوقا (١١ :

٢٩ - ٣٢) . أما بالنسبة لمرقس . كما سترى هذا فيما بعد . فإنه يدعى أن المسيح قد أعلن أنه لن يعطى لهذا الجيل آية (مرقس ٨ :

أنه إنجيل طائفة يهودية - مسيحية بسبيل مخالفة اليهودية مع الاحتفاظ بخط العهد القديم .  
ومن وجهة نظر تاريخ اليهودية المسيحية فلإنجيل متى أهمية كبرى .

### إنجيل مرقس

إنه أقصر الأناجيل الأربعة . وهو أيضاً أقدمها . ولكنه ليس كتاب أحد الحوارين :  
هو على أكثر تقدير كتاب حرره تلميذ لأحد الحوارين .

وقد كتب ا . كولمان أنه لا يعتبر مرقس تلميذاً للمسيح . ومع ذلك فهو يشير إلى هؤلاء  
الذين قد يشكون في انتساب هذا الإنجيل إلى مرقس « إن متى ولوقا لم يكونا ليستخدمنا هذا  
الإنجيل مثلما فعلاً لو كانا لا يعرفان أنه مؤسس فعلاً على تعاليم أحد الحوارين » . لكن هذه  
حجة غير حاسمة . ويذكر ا . كولمان ، لتأكيد التحفظ الذى يدفع به ، الإشارات الكثيرة  
في العهد الجديد التى تتحدث عن رجل اسمه « يوحنا ويلقب بمرقس » . ولكن هذه  
الفقرات لا تذكر مؤلف إنجيل وحتى نص مرقس نفسه لا يشير إلى أى مؤلف .

إن فقر المعلومات الخاصة بهذه النقطة قد قادت المعلقين إلى أن يأخذوا بتفاصيل تبدو  
وهمية على أنها عناصر ذات قيمة ومنها ما يلى : « فبحجة أن مرقس هو المبشر الوحيد الذى  
سرد في روايته عن آلام المسيح حادثة شاب كان يلبس إزاراً على عريه وترك الإزار وهرب  
عريان عندما شرع في الإمساك به ، (مرقس الإصحاح ١٤ - الآيتان ٥١ و ٥٢) ،  
استنتج البعض أن هذا الشاب قد يكون مرقس « التلميذ الأمين الذى يحاول أن يتبع السيد »  
(من الترجمة المسكونية) . وفي رأى آخرين يستطيع القارئ أن يرى هنا « بسبب هذه  
الذكرى الشخصية علامة على الصحة وإمضاء مجهول » . . . « يثبت أن صاحبه كان شاهداً  
معايناً » ( ا . كولمان ) .

ويرى هذا الكاتب « أن هناك كثيراً من تراكيب الجمل تدعم الفرض القائل إن مؤلف  
هذا الإنجيل يهودى الأصل » ، ولكن وجود المناحى اللغوية اللاتينية قد يوحى بأنه قد كتب  
إنجيله من روما . « فهو بالإضافة إلى هذا يتوجه بالخطاب إلى مسيحيين لا يعيشون بفلسطين  
ويعتنى بشرح التعبيرات الآرامية التى يستخدمها في حديثه إليهم . »

الواقع ، أن التراث قد أراد أن يرى في مرقس رفيقاً لبطرس في روما وذلك اعتماداً على نهاية رسالة بطرس الأولى (إذا ما كان هذا الأخير هو فعلاً كاتب هذه الرسالة) . ويقال إن بطرس قد كتب لمن وجه رسالته إليهم : « جماعة المختارين ببابل تحييكم وكذلك مرقس أخي » . « بابل أى ربما روما » . . . ذلك ما نقرأ في التعليقات على الترجمة المسكونية ، ومن هنا يعتقد البعض أن من حقه استنتاج أن مرقس الذى كان مع بطرس بروما هو المبشر . . . ترى أسبب من هذا النوع هو الذى دفع ببايياس Papias ، أسقف هيرا بولس في نحو عام ١٥٠ م ، إلى أن ينسب الإنجيل المقصود إلى مرقس الذى يقول عنه إنه كان « مترجماً لبطرس » وإنه كان أيضاً مساعد بولس . . . ؟

إن إنجيل مرقس ، من هذه الزاوية ، يكون قد تحرر بعد موت بطرس أى على أكثر تقدير بين ٦٥ م و ٧٠ م حسب الترجمة المسكونية ، وفي حوالى عام ٧٠ م حسب ا . كولمان .

ويظهر النص نفسه عيباً رئيسياً أولاً لا جدال فيه : لقد حرر دون أى اهتمام بالتعاقب الزمنى للأحداث . فهذا الإنجيل يضع في بداية روايته (الإصحاح ١ - الآيات من ١٦ إلى ٢٠) حكاية الصيادين الأربعة الذين يدعوهم المسيح لأن يتبعوه قائلاً لهم ببساطة « ستصيرون صيادى الناس » على حين أنهم لا يعرفونه . ويضاف إلى ذلك أن هذا المبشر يبرز افتقاراً كاملاً للمعقولية .

وكما يقول الأب روجى فإن مرقس كاتب غير حاذق وأكثر المبشرين ابتداءً . فهو لا يعرف أبداً كيف يجرح حكاية ، ويدعم المعلق ملاحظته بذكر فقرة تسرد تكون الاثنى عشر حوارياً . تقول هذه الفقرة حرفياً :

« ثم صعد إلى الجبل ودعا الذين أرادهم فذهبوا إليه . وأقام اثني عشر ليكونوا معه وليرسلهم ليكرزوا ويكون لهم سلطان إخراج الشياطين . وجعل الاثنى عشر وفرض على سمعان اسم بطرس » (مرقس الإصحاح ٣ - الآيات من ١٣ إلى ١٦) .

إن إنجيل مرقس يتناقض مع إنجيل متى ولوقا فيما يخص بعض الأحداث كما أشرنا أعلاه بمناسبة حكاية آية يونس . وأكثر من ذلك فبمناسبة الآيات التى يعطيها المسيح للبشر في

أثناء بعثته ، بسررد مرقس حكاية لم تعد قابلة للتصديق . يقول (الإصحاح ٨ - الآيتان ١١ و ١٢) :

« فجاء الفريسيون وجعلوا يحاورون المسيح ، وليسوقوه إلى فخ طلبوا منه آية من السماء - تنهد المسيح بعمق وقال : « لماذا يطلب هذا الجيل آية . . . ؟ الحق أقول لكم ، لن يعطى هذا الجيل آية » ثم تركهم وصعد إلى السفينة ليضى إلى الضفة الأخرى » .  
ولا شك في أن هذا تأكيد ، من المسيح نفسه ، بأنه ليس في نيته القيام بأى فعل قد يبدو غير طبيعى . وعليه فالمعلقون على الترجمة المسكونية ، عندما يتعجبون من إعلان لوقا بأن المسيح لن يعطى إلا آية واحدة ، آية يونس (انظر إنجيل متى) يحكمون في الوقت نفسه بوجود «مفارقة» بين قول مرقس بأنه «لن يكون لهذا الجيل آية» وبين المعجزات التي يقدمها المسيح نفسه كآيات « (إنجيل لوقا الإصحاح ٧ - الآية ٢٢ والإصحاح ١١ - الآية ٢٠) » .

وإذا كان إنجيل مرقس معترفاً به كلية كإنجيل كنسى . فإن هذا لا يقلل من أن الكتاب المحدثين يعدون خاتمته (الإصحاح ١٦ - الآيات من ٩ إلى ٢٠) كمؤلف مضاف : وتشير الترجمة المسكونية إلى هذا بشكل صريح .

وهذه الخاتمة غير موجودة في أقدم مخطوطتين كاملتين للأناجيل المعرفتين باسمي Codex Sinaiticus, Codex Vaticanus اللذين يرجع تاريخهما إلى القرن الرابع . ويقول كولمان في هذا الشأن : «أضف مخطوطات يونانية أقرب عهداً وبعض نصوص أخرى إلى هذا الموضوع خاتمة عن ظهور المسيح لا تنتسب إلى مرقس وإنما هي مستخرجة من أناجيل أخرى» . والواقع أن روايات هذه الخاتمة المضافة كثيرة . ففي النصوص نجد تارة رواية طويلة ، وتارة رواية قصيرة (وتحتوى الترجمة المسكونية على الروايتين) ، وتارة الرواية الطويلة مع حاشية ، وتارة أخرى الروايتين معاً .

ويعلق الأب كاتنينجر على هذه الخاتمة بما يلي : « لا بد أنه قد حدث حذف للآيات الأخيرة عند الاستقبال الرسمي (أو عند النشر على العامة) لكتاب مرقس في الجماعة التي ضمنتها . ولا متى ولا لوقا ، ولا يوحنا بالأحرى ، قد عرفوا هذا الجزء المفقود . مع ذلك

فقد كانت الفجوة لا تحتمل . وبعد ذلك بكثير وبعد أن جرت بين الأيدي الكتابات المتشابهة لمتى ولوقا ويوحنا تم توليف خاتمة محترمة لمرقس وذلك بالاستعانة بعناصر من هنا ومن هناك لدى المبشرين الآخرين . ومن السهل الاستدلال على قطع هذه الفزورة بالتفصيل خاتمة مرقس (١٦ - من ٩ إلى ٢٠) . ذلك يسمح بتكوين فكرة مادية عن الحرية التي كانوا يعالجون بها النوع الأدبي الخاص بالحديث الإنجيلي حتى أعتاب القرن الثاني . « يا له من اعتراف صريح بوجود التعديلات التي قام بها البشر على النصوص المقدسة ! يا له من اعتراف ذلك الذي تقدمه لنا تأملات هذا العالم اللاهوتي الكبير . . . !

### إنجيل لوقا

هو «كاتب حوليات» في رأى ا . كولمان و «روائي حقيقي» في نظر الأب كانينجسر . ينهنا لوقا نفسه في ديباجته الموجهة لثاوفيلس إلى أنه ، بعد الآخرين الذين أنشؤوا قصصاً عن المسيح ، سينشئ بدوره حكاية عن نفس الأحداث مستخدماً هذه القصص ومعلومات الشهود المعايين - وذلك يعنى أنه ليس واحداً منهم - وبالإضافة إلى المعلومات الآتية من مواعظ الحوارين . المقصود إذن كتاب منهجي ويقدم لوقا له بما يلي : «إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأحداث التي وقعت ، كما نقلها إلينا الذين كانوا منذ البدء شهوداً معايين وخداماً للكلمة ، رأيت أنا أيضاً ، إذ تبعت كل شيء من الأول بتدقيق ، أن أكتب على التوالى إليك ، أيها العزيز ثاوفيلس ، لتعرف صحة الكلام الذي علمت به .»

من السطور الأولى يستطيع القارئ أن يميز ما يفصل لوقا عن مرقس ، «هذا الكاتب الغث» الذي تحدثنا عن إنجيله . إن إنجيل لوقا عمل أدبي ، لا يجادل ، كتب بلغة يونانية كلاسيكية راقية ، تخلو من جوشى الكلام .

لوقا أديب وثني آمن بالمسيحية . واتجاهه بالنسبة إلى اليهود يتضح مباشرة . وكما يشير ا . كولمان فإن لوقا يحذف من روايته أكثر الآيات اليهودية عند مرقس ويبرز كلمات المسيح في مواجهة كفر اليهود وعلاقاته الطيبة مع السامريين الذين يمتقنهم اليهود ، هذا على حين يقول متى في

إنجيله إن المسيح طلب إلى حواريه أن يتجنبوا السامرين . وذلك مثال جلي بين أمثلة كثيرة على أن المبشرين ، يضعون على لسان المسيح ما يتناسب مع وجهات نظرهم الشخصية ، وهم يفعلون ذلك ولا شك باقتناع مخلص ، فإنهم يعطوننا عن أقوال المسيح الرواية التي تتكيف مع وجهات نظر الطوائف التي ينتمون إليها . كيف يمكن إذن ، أمام أمور جلية كهذه ، إنكار أن الأناجيل ليست « كتابات خصامية » أو « ظرفية » كما قيل أعلاه ؟ إن المقارنة بين المنحى العام لإنجيل متى وإنجيل لوقا يأتي ببرهان قاطع في هذا الشأن .

من هو لوقا ؟ لقد أراد بعضهم التعرف على هويته في شخصية الطبيب الذي يحمل اسم لوقا والذي يذكره بولس في بعض رسائله . وتلاحظ الترجمة المسكونية أن « بعضهم قد رأى تأكيداً لمهنة الطب التي كان المؤلف يمارسها وذلك بسبب دقة وصف المرض » . وهذا تقدير مبالغ فيه تماماً . فلوقا لا يعطى « أوصافاً » من هذا النوع إذا شئنا الدقة ، « والمفردات التي يستخدمها هي مفردات أى إنسان مثقف في هذا العصر » . لقد كان هناك لوقا ما قد رافق بولس في رحلاته . فهل هو نفس الشخص ؟ إن ا . كولمان يعتقد ذلك .

ويمكن تقدير تاريخ إنجيل لوقا بالنظر إلى عوامل عدة . فقد استعان لوقا بإنجيلي مرقس ومتى . وكما تقول الترجمة المسكونية فيبدو أنه قد عايش حصار القدس وتدميرها تحت جيوش تيتوس عام ٧٠ م . وعلى ذلك يكون هذا الإنجيل لاحقاً على ذلك التاريخ . ويحدد النقاد الحاليون غالباً تاريخ تحريره بما بين ٨٠ - ٩٠ م . ولكن هناك معلقين آخرين ينسبونه إلى تاريخ أكثر قدماً .

وتحتوى شتى الروايات في إنجيل لوقا على اختلافات هامة مع روايات سابقه . ولقد أعطينا أعلاه لمحة . وتشير إليها الترجمة المسكونية في صفحة ١٨١ وما يليها .

يذكر ا . كولمان ، في كتابه « العهد الجديد » صفحة ١٨ ، روايات من إنجيل لوقا لا توجد في الأناجيل الأخرى ، وليس المقصود نقاطاً تفصيلية .

إن الروايات عن طفولة المسيح في إنجيل لوقا خاصة بهذا الإنجيل . فتنقص بشكل يختلف عن لوقا طفولة المسيح . أما مرقس فإنه لا يقول كلمة عنها .

ويعطى كل من متى ولوقا المسيح أنساباً مختلفة . والتناقض بينها هام وعدم المعقولية

كبيرة من وجهة النظر العلمية بحيث يجدر تخصيص فصل خاص هنا لهذا الموضوع . وقد يمكن فهم أن متى لأنه يتوجه بخطابه لليهود ، يبدئ شجرة نسب المسيح بإبراهيم ويجعلها تمر بدادود ، وإن لوقا ، وهو الوثني الذي آمن بالمسيحية ، يهتم بأن يمد جذور هذه الشجرة إلى ابعده من ذلك . ولكن القارئ سيرى أن الاثنتين يتناقضان ابتداء من داود . ومن ناحية أخرى ، فإن رسالة المسيح مسرودة بشكل مختلف وفي نقاط كثيرة لدى كل من لوقا ومتى ومرقس .

إن تأسيس سر القربان المقدس ، وهو حدث ذو أهمية رئيسية بالنسبة للمسيحيين ، يخضع لتنوعات كثيرة من لوقا إلى المبشرين الآخرين . ويلاحظ الأب روجي في كتابه «مقدمة إلى الإنجيل» (ص ٧٥) أن الكلمات التي يسوق بها إنجيل لوقا (الإصحاح ٢٢ - الآيات من ١٩ إلى ٢٤) سر القربان المقدس تختلف عن تلك التي نجدها في إنجيل متى (الإصحاح ٢٦ - الآيات من ٢٦ إلى ٢٩) وفي إنجيل مرقس (الإصحاح ١٤ - الآيات من ٢٢ إلى ٢٤) ، وهي متطابقة تقريباً في هذين الأخيرين . «وعلى العكس ، فالصيغة التي ينقلها لوقا تقارب كثيراً تلك التي يذكرها بولس» (الرسالة الأولى إلى أهل كورنثة . الإصحاح ١١ - الآيات من ٢٣ إلى ٢٥) .

إن لوقا ، كما رأينا ، في إنجيله ، يصدر عن صعود المسيح قولاً يناقض ما يقول في «أعمال الرسل» التي سلم المتخصصون بأنه كاتبها وهي جزء متمم للعهد الجديد . إنه يحدد في إنجيله تاريخ صعود المسيح بيوم الفصح ويحدده في «الأعمال» ببعد ذلك بأربعين يوماً . وإننا لنعرف إلى أى تعليقات غريبة قاد هذا التناقض المفسرين المسيحيين .

غير أن المعلقين الذين تهتمهم الموضوعية مضطرون للاعتراف ، مثلما فعل المعلقون على الترجمة المسكونية عموماً ، بأن «الاهتمام الأول (لدى لوقا) ليس هو وصف الأمور في دقتها المادية . . .» . إن الأب كاتينجسر يقارن روايات «أعمال الرسل» . وهي من تأليف هذا اللوقا نفسه . مع روايات أمور مماثلة عند بولس عن المسيح بعد قيامته ويقدم الرأي التالي عن لوقا : «لوقا هو أكثر كتاب الأناجيل الأربعة إرهافاً في الحس وأكثرهم ميلاً للأدب ، إنه يتمتع بكل صفات الكاتب الروائي الحقيقي» .

## إنجيل يوحنا

يختلف إنجيل يوحنا جيداً عن الأناجيل الثلاثة الأخرى ، إلى درجة أن الأب روجي في كتابه «مقدمة إلى الإنجيل» ، وبعد أن علق على الأناجيل الأخرى ، يعطى صورة معبرة عن هذا الإنجيل الرابع : «إنه عالم آخر» . والواقع أنه كتاب مختلف تماماً : فهو يختلف في ترتيب وفي اختيار الموضوعات والروايات والخطب ، وبه اختلافات أسلوبية وجغرافية وأخرى خاصة بالتعاقب الزمني للأحداث ، بل إنه يحتوى على اختلاف في الآفاق اللاهوتية (١. كولمان) . إن أقوال المسيح تساق بشكل مختلف لدى كل من يوحنا والمبشرين الآخرين : وينوه الأب روجي ، في هذا الشأن ، إلى أنه على حين تسوق الأناجيل الثلاثة المتوافقة أقوال المسيح في أسلوب «قارع» ، يقارب كثيراً الأسلوب الشفهي « فإن كل شيء يخضع عند يوحنا إلى التأمل ، إلى درجة «أننا نستطيع أن نتساءل أحياناً ما إذا كان المسيح هو الذى مازال يتحدث أم أن أقواله تمتط بشكل غير محسوس بتأثير تأملات هذا المبشر» . من هو المؤلف ؟ المسألة موضع نقاش كثير ، وقد طرحت آراء شديدة التنوع في هذا الشأن .

ويتسمى ١ . تريكو والأب روجي إلى هؤلاء الذين لا يغشاهم أى شك : فإنجيل يوحنا في نظرها هو كتاب لشاهد معين ، والمؤلف هو يوحنا بن زبيدي وأخو جاك Jacques ، هو المبشر الذى تعرف عنه تفاصيل كثيرة وتعرض في الكتب المبسطة المعجمة . وتصوره الإيقونات الشعبية واقفاً بجوار المسيح مثلما كان عند العشاء الأخير قبل الآلام . فن ذا الذى يتخيل أن إنجيل يوحنا ليس من مؤلف يوحنا الحواري ذى الصورة المنتشرة إلى هذا الحد لدى العامة ؟

إن التحرير المتأخر جداً لهذا الإنجيل الرابع لا يشكل حجة قاطعة ضد هذا الموقف الذى يتخذه البعض ، المعتقد أن الصيغة النهائية له قد حررت في نحو نهاية القرن الأول . إن تحديد تاريخها بسمين عاماً بعد المسيح قد يكون أمراً يتفق مع وجود حوارى كان صغير السن في عصر المسيح وعاش ما يقارب قرناً من الزمان .

إن الأب كاتينجر ، في دراسته عن القيامة ، يصل إلى هذه النتيجة وهى أنه ليس

هناك أى كاتب للعهد الجديد ، سوى بولس ، يستطيع أن ينسب لنفسه صفة كونه شاهداً معاً لقيامته المسيح . وبرغم ذلك فيوحنا يقص ظهور المسيح بعد قيامته للحواريين وكان هو واحداً منهم وكانوا مجتمعين باستثناء توما (الإصحاح ٢٠ - الآيات من ١٩ إلى ٢٤) ثم ظهوره مرة أخرى بعد ثمانية أيام للحواريين بكاملهم .

إن ا . كولمان لا يتخذ موقفاً خاصاً بهذا الموضوع في كتابه «العهد الجديد» . كما أن الترجمة المسكونية للكتاب المقدس . تحدد أن غالبية النقاد لا تأخذ بالفرض القائل بتحرير قام به يوحنا الحواري وإن كان ذلك احتمالاً غير مستبعد برغم كل شيء . ولكن كل شيء يدفع للاعتقاد بأن النص المنشور حالياً ينتمى إلى أكثر من كاتب واحد : «فيحتمل أن الإنجيل ، بشكله الذى نملكه اليوم ، قد نشر بواسطة تلامذة المؤلف الذين أضافوا الإصحاح ٢١ كما أضافوا ولاشك بعض الحواشى (مثل ٤ ، ٢ وربما أيضاً ٤ ، ١ ؛ ٤ ، ٤٤ ؛ ٧ ، ٣٧ ب ؛ ١١ ، ٢ ؛ ١٩ ، ٣٥) . أما فيما يخص المرأة الزانية (الإصحاح ٧ ، ٥٣ إلى ٨ ، ١١) فالكل يتفق على الاعتراف بأن هذا نص مجهول الأصل ، ألحق فيما بعد (وإن انتمى برغم ذلك إلى الكتاب المقدس المعترف به كنسياً) . إن الفقرة من ١٩ ، ٣٥ تبدو وكأنها «إمضاء لشاهد معين» (ا . كولمان) وهو الإمضاء الوحيد الصريح فى كل إنجيل يوحنا ، ولكن المعلقين يعتقدون أنها فقرة مضافة ولا شك . ويعتقد ا . كولمان أن الإضافات اللاحقة واضحة فى هذا الإنجيل : مثل الإصحاح ٢١ ، ويعتقد أنه من عمل «أحد التلاميذ وقد أضاف أيضاً بعض اللمسات إلى متن الإنجيل» .

ودون ذكر الافتراضات الأخرى التى قدمها المفسرون ، فالملاحظات الصادرة عن أبرز الكتاب المسيحيين والتى أوردناها هنا عن مشكلة مؤلف الإنجيل الرابع ، تشير ، هى وحدها ، إلى أننا مغمورون بالغموض والخلط فيما يتعلق بأبوة هذا الكتاب . لقد كانت القيمة التاريخية لروايات يوحنا موضع نزاع كثير . فالأمور التى تتنافر مع الأناجيل الثلاثة الأخرى صارخة . ولكن ا . كولمان يعللها : فهو يعترف بأن ليوحنا مرامى لاهوتية تختلف عن مرامى المبشرين الآخرين . وهذه الأغراض هى التى «تقود اختيارات

روايات أقوال المسيح Logia ، كما تقود الطريقة التي نقلت بها هذه الأقوال . وهكذا كثيراً ما يمط الكاتب السطور ويضع على لسان المسيح ما أنزله عليه الروح القدس نفسه . ذلك هو سبب عدم الاتفاق مع الأناجيل الأخرى في رأى هذا المفسر .

ولا شك أنه من المعقول أن يوحنا ، وقد شرع في الكتابة بعد المبشرين الآخرين ، كان يستطيع أن يختار بعض الروايات التي تصور دعاواه بشكل أوضح ، وإننا لا يجب أن ندهش عندما لا نجد في إنجيل يوحنا كل ما تحتوى عليه الروايات الأخرى . والترجمة المسكونية تذكر عدداً معيناً من حالات من هذا النوع ( ص . ٢٨٢ ) . ولكن أكثر ما يثير الدهشة هو بعض الثغرات . فبعضها معقول بالكاد ، كتلك التي تخص رواية تأسيس القربان المقدس . إذ كيف يمكن تصور أن يوحنا ، وهو المبشر المفكر المتأمل بكل معنى الكلمة ، لا يتحدث عن الحدث الرئيسى في المسيحية والذي سيصبح ركناً من أهم أركان الطقوس الكنسية أى القداس ؟ الحادث فعلاً أن يوحنا يكتفى فقط ، في سرده لهذا العشاء الذى يسبق الآلام ، بوصف غسل أقدام الحوارين والتنبؤ بخيانة يهوذا الأسخريوطى ، ويإنكار بطرس .

وعلى العكس من هذا أيضاً فى إنجيل يوحنا روايات غير واردة فى الأناجيل الأخرى ، والترجمة المسكونية تشير إليها ص ٢٨٣ . ورب قائل لأن الثلاثة الأخر لم يروا فى بعض الأحداث الأهمية التى ميزها يوحنا . ولكن كيف لا ندهش عندما نجد فى إنجيل يوحنا رواية عن ظهور المسيح لتلامذته على بحيرة طبرية بعد أن قام من الأموات (يوحنا الإصحاح ٢١ : الآيات من ١ إلى ١٤) وليست هذه الرواية إلا نقلاً مع كثير من التفاصيل الإضافية لمعجزة الصيد التى حكاهها لوقا (الإصحاح ٥ : الآيات من ١ إلى ١١) كحادثة وقعت فى حياة المسيح . ويشير لوقا فى روايته إلى وجود يوحنا الرسول والذى هو المبشر كما يقول التراث . إن انتهاء هذه الرواية من إنجيل يوحنا إلى الإصحاح ٢٦ - الذى يتفق الجميع على أنه إضافة لاحقة - يسهل علينا تصور أن ذكر اسم يوحنا فى رواية لوقا قد دفع المؤلف إلى ضم اسم يوحنا بشكل مصطنع إلى الإنجيل الرابع : ولهذا الغرض لم يتردد معدل النص الإنجيلي فى تحويل حدث وقع فى حياة المسيح إلى رواية حدثت بعد حياته !

هناك أيضاً اختلافات على جانب كبير من الأهمية بين إنجيل يوحنا والأناجيل

الأخرى ، وهو اختلاف خاص بالفترة الزمنية لبعثة المسيح . إذ يحددها مرقس ومتى ولوقا بعام واحد . أما بالنسبة ليوحنا فهي تمتد على أكثر من عامين . ويشير أ. كولمان إلى هذا الأمر . وأما الترجمة المسكونية فهي تصرح عن هذا الموضوع بما يلي :

« على حين تحدثنا الأناجيل الثلاثة المتوافقة عن فترة طويلة بالجليل تتبعها مسيرة نحو الناصرة Judee تمتد قليلاً أو قد تقصر ثم يليها أخيراً المكوث فترة قصيرة بالقدس فإن يوحنا ، على العكس ، يسرد انتقالات عدة للمسيح من منطقة إلى أخرى ويتحدث عن مكوثه فترة طويلة بأرض الناصرة Judee وبالقدس على وجه خاص ( ١ - ١٩ : ٥١ ، ٢ - ١٣ إلى ٣ - ٣٦ ؛ ٥ - ١ : ٤٧ ؛ ١٤ - ٢٠ : ٣١ ) . ويشير إلى احتفالات فصحية متعددة ( ٢ - ١٣ ؛ ٥ - ١ ؛ ٦ - ٤ ؛ ١١ - ٥٥ ) وهو بهذا يوحى بأن بعثة المسيح قد دامت أكثر من عامين » .

إذن فمن يجب أن يصدق ؟ أنصدق متى أم مرقس أم لوقا أم يوحنا ؟

### مصادر الأناجيل

إن اللمحة العامة التي أعطيناها عن الأناجيل والتي استخرجناها من الدراسة النقدية للنصوص تقود إلى اكتساب مفهوم أدب « مفكك تفتقر خطته إلى الاستمرار » و « تبدو تناقضاته غير قابلة للحل » ، كما تقول ألفاظ الحكم الذي أصدره المعلقون على الترجمة المسكونية للكتاب المقدس الذين يهمننا الرجوع إلى سلطتهم ، حيث إن التقديرات في هذا الموضوع تؤدي إلى نتائج بالغة الخطورة . ولقد رأينا أن بعض المعلومات عن التاريخ الديني المعاصر لميلاد الأناجيل تستطيع أن توضح بعض سمات هذا الأدب الذي يبلبل القارئ المتأمل . ولكن يجب الذهاب إلى أبعد من هذا ، كما يجب البحث عما يمكن أن تعلمنا به الدراسات المنشورة في العصر الحديث عن المصادر التي نهلَ منها المبشرون لتحرير نصوصهم ، كما يهم أيضاً دراسة ما إذا كان تاريخ النصوص بعد استقرارها قادراً على شرح بعض الصفات التي تقدمها في عصرنا .

لقد تصدى آباء الكنيسة في عصرهم لمشكلة المصادر بطريقة ساذجة . ففي القرون

الأولى من العصر المسيحي لم يكن المصدر إلا الإنجيل الذي تضعه المخطوطات الكاملة على رأسها أى إنجيل متى فقط . وكانت مشكلة المصادر تطرح إزاء إنجيل مرقس ولوقا حيث كان إنجيل يوحنا يشكل حالة منفصلة . كان القديس أوغسطين يعد إنجيل مرقس . وهو الإنجيل الثانى فى الترتيب التقليدى لتقديم الأناجيل . مستلهما من إنجيل متى وانه قد لخصه ، وإن إنجيل لوقا ، وهو الثالث فى ترتيب المخطوطات المؤلفة ، قد استعان بمعطيات كل من الأول والثانى : وتوحى بذلك فاتحته التى تحدثنا عنها أعلاه .

كان مفسرو هذا العصر يستطيعون مثلنا أن يقيموا درجة اتفاق النصوص وأن يجدوا عدداً كبيراً من الآيات المشتركة بين اثنين أو ثلاثة من مخطوطات الأناجيل المتوافقة . وفى عصرنا يحسب المعلقون على الترجمة المسكونية عدد هذه الآيات تقريباً كما يلي :

آيات مشتركة بين ثلاثة أناجيل : متى ومرقس ولوقا ٣٣٠

آيات مشتركة بين إنجيلي مرقس ومتى ١٧٨

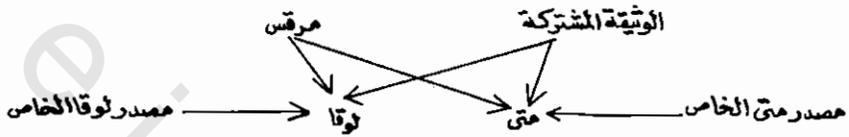
آيات مشتركة بين إنجيلي مرقس ولوقا ١٠٠

آيات مشتركة بين إنجيلي متى ولوقا ٢٣٠

هذا على حين أن الآيات الخاصة بكل من المبشرين الثلاثة الأولين هى : ٣٣٠ آية بالنسبة لمتى ، و ٥٣ آية بالنسبة لمرقس و ٥٠٠ آية بالنسبة للوقا .

ومن عصر آباء الكنيسة وحتى نهاية القرن الثامن عشر ، مر ألف وخمسمائة عام دون إثارة أى مشكلة جديدة . مهما كانت ، عن مصادر المبشرين : كان هناك امتثال للتراث . وفى العصر الحديث فقط وأمام هذه المعطيات أدرك البعض أن كل مبشر قد أنشأ رواية على طريقته الخاصة وحسب وجهات نظره الشخصية مع الاعتماد على المعلومات التى وجدها عند الآخرين . عندئذ علق الباحثون أهمية كبيرة على جمع مواد الرواية فى التراث الشفهى للطوائف الأصلية من ناحية ، وفى مصدر مكتوب أرامى مشترك لم يعثر عليه من ناحية أخرى . وقد كان يمكن لهذا المصدر المكتوب أن يشكل كتلة صماء أو أن يتكون من مقتطفات كثيرة لروايات شتى ربما تكون قد خدمت كل مبشر فى تشييد نصه الأصيل . ومنذ قرن تقريباً ، قادت أبحاث أكثر تعمقاً إلى نظريات أكثر دقة ازدادت تعقداً بمرور

الزمن . وأول هذه النظريات الحديثة هي النظرية المسماة « بمصدرى هولترمان » Holtzmann (١٨٦٣) . وحسب هذه النظرية . كما يحدد ا . كولمان والترجمة المسكونية ، فإن متى ولوقا قد استلهما مرقس من ناحية ، ووثيقة مشتركة مفقودة اليوم من ناحية أخرى . يضاف إلى هذا أن كلا من المبشرين الأولين كان يملك تحت حوزته مصدراً خاصاً . وقد أدى هذا إلى الرسم البياني التالي :



وينتقد ا . كولمان هذا البيان فيما يتعلق بالنقاط التالية :

- ١ - ليس مؤلف مرقس الذي استخدمه لوقا ومتى هو إنجيل مرقس ، إنما هو مؤلف سابق على مرقس .
- ٢ - لا يعطى هذا أهمية كافية للتراث الشفهي ، ويبدو أنه رئيسي لأنه - وهو وحده - قد حفظ طيلة ثلاثين أو أربعين سنة أقوال المسيح والروايات الخاصة ببعثته ، وحيث إن كل مبشر لم يكن إلا المتحدث باسم الطائفة المسيحية التي ثبت التراث الشفهي . بهذا نصل إلى فكرة أن الأناجيل ، كما هي في حوزتنا اليوم ، قد أعطت صدى لما كانت الطوائف المسيحية البدائية تعرف عن حياة ورسالة المسيح ولعقدااتهم ومفاهيمهم اللاهوتية التي تحدث المبشرون باسمها .
- أما أحدث أبحاث نقد النصوص الخاصة بمصادر الأناجيل فقد أوضحت وجود عمد أكثر تعقيداً من تشكل النصوص . إذ تنوه طبعة الأناجيل الأربعة المتوافقة .
- Synopse des quatre Evangiles ، وهي للالين بينوا وبومار R.R.P.P. Benoit et Boismard ، الأستاذين . بمعهد الكتاب المقدس بالقدس (١٩٧٢ - ١٩٧٣) ، تنوه بشكل خاص إن تطور النصوص على مراحل متعددة بالتوازي مع تطور التراث . ويجر هذا إلى نتائج يعرضها الأب بينوا بهذه الألفاظ في تقديمه للجزء الذي قام به الأب بومار من الكتاب المشار إليه .

يقول : « ( . . . ) إن أشكال الأقوال أو الروايات الناتجة عن تطور طويل للتراث لا تتمتع بنفس صحة الأقوال أو الروايات الموجودة أصلاً . وقد يدهش بعض قراء هذا الكتاب أو قد يشعر بالخرج عندما يعلم أن هذا القول للمسيح أو هذا المثل أو ذاك التصريح بمصيره لم تقل مثلما نقرأ اليوم وأن هؤلاء الذين نقلوا هذا إلينا قد أجرؤا عليه لمسات وتعديلات . إن هؤلاء الذين لم يعتادوا هذا النوع من البحث التاريخي يجدون هنا مصدراً مكمناً للاندهاش بل حتى للاستنكار . »

إن هذه اللمسات وتلك التعديلات ، التي مارسها هؤلاء الذين نقلوا إلينا النصوص قد أنجزت بطريقة يعطينا الأب بومار عنها رسماً بيانياً شديد التعقيد هو بسط للنظرية المسماة بنظرية المصدرين . وقد وضع هذا الرسم بعد عمل من الفحص ومن مقارنة النصوص يستحيل تلخيصه . وإذا أراد القارئ المهتم الحصول على تفاصيل أكثر فعليه أن يرجع إلى الكتاب الأصلي وقد نشر بباريس بدار نشر Editions du Cerf

هناك أربع وثائق أساسية هي ا ، ب ، ج ، ق تمثل المصادر الأصلية للأناجيل ( انظر الرسم البياني العام ) .

الوثيقة ا وثيقة نبت من أوساط يهودية - مسيحية وقد ألفت متى ومرقس .  
الوثيقة ب هي إعادة تفسير للوثيقة ا ، استخدمتها الكنائس الوثنية - المسيحية : وقد ألفت كل المبشرين ماعدا متى .

الوثيقة ج ألفت مرقساً ولوقا ويوحنا .  
الوثيقة ق تكون معظم المصادر الشائعة بين متى ولوقا ، إنها « الوثيقة المشتركة » في نظرية المصدرين المشار إليها أعلاه .

لم تؤد أية وثيقة من هذه الوثائق الأساسية إلى تحرير النصوص النهائية التي في حوزتنا .  
فبينها وبين التحرير النهائي توجد تأليف وسيطة خاصة بكل إنجيل (١) وتلك الوثائق الأربعة الوسيطة هي التي أدت إلى الصيغ النهائية للأناجيل الأربعة وفي نفس الوقت ألفت الصيغ النهائية المناظرة والمطابقة لصيغ أناجيل أخرى . ولا بد من الرجوع إلى الرسم البياني العام حتى

(١) تختلف أسماء هذه الصيغ في اللغة الفرنسية . وحتى نكون أكثر وضوحاً فإننا نعطىها اسماً مماثلاً هو : « وسيط » .

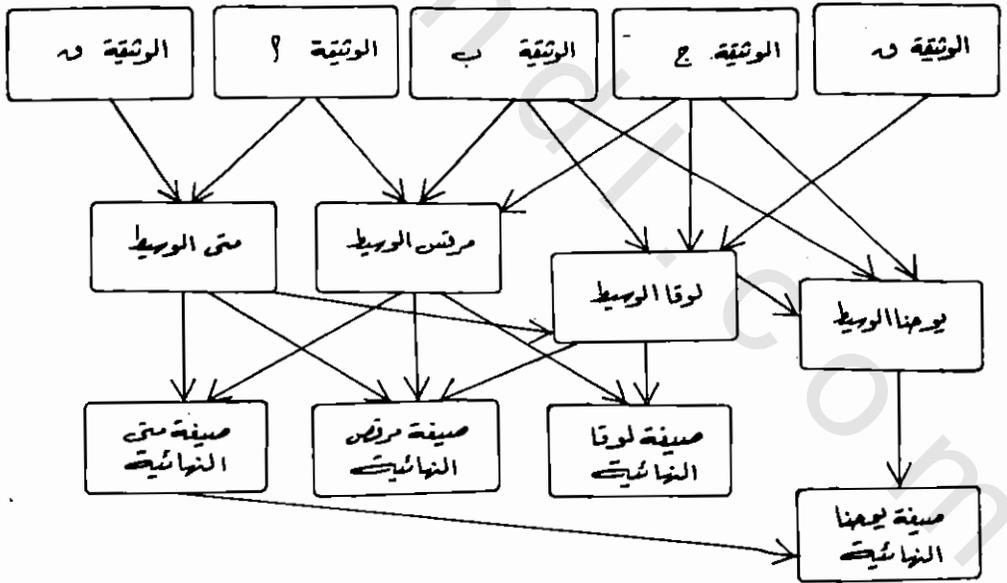
يمكن إدراك الشبكات المعقدة التي يضعها المؤلف .

إن نتائج هذا البحث الخاص بالكتاب المقدس على أهمية اللغة . فهي تثبت أن نصوص الأنجيل ، التي لها تاريخ (وسعالج هذا في فصل لاحق) ، تتمتع أيضاً ، حسب تعبير الأب بومار ، « بتاريخ ما قبل التاريخ Pre-Histoire » ، أي أنها قد خضعت قبل ظهور الصيغ النهائية ، لتعديلات وذلك في مرحلة الوثائق الوسيطة . بهذا يتضح ، على سبيل المثال ، أن حكاية معروفة جيداً وقعت في حياة المسيح ، حكاية معجزة الصيد ، تقدم ، كما رأينا في إنجيل لوقا ، باعتبارها حدثاً وقع في حياة المسيح ، على حين يقدمها يوحنا كحادثة من حوادث ظهوره بعد قيامته .

م . أ . بومار

الأنجيل الأربعة المتوافقة

الرسم البياني العام بتصريف



- الوثيقة أ ، ب ، ج ، ق : الوثيقة الأساسية التي استخدمت في الصياغة النهائية .

- الوسيط : الصياغة الوسيطة .

ونتيجة كل هذا هو أننا لم نعد متأكدين مطلقاً من أننا نلتقي كلمة المسيح بقراءة الإنجيل . والأب بينوا يتوجه لقارئ الإنجيل ويحذره من هذا ، ويقدم تعويضاً قائلاً . « إذا كان عليه أن يتخلى في أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر فإنه يسمع صوت الكنيسة ويركن إليها ركونه لمفسر خول إليه أن يفسر السيد الذي يحدثنا اليوم في مجده بعد أن تحدث على أرضنا » .

كيف يمكن التوفيق بين هذه الملاحظة الصريحة عن عدم صحة بعض النصوص وبين عبارة الدستور العقائدي عن التنزيل الإلهي التي صوت عليها مجمع الفاتيكان الثاني . وهذا يؤكد لنا ، على العكس ، بأمانة نقل أقوال المسيح . تقول هذه العبارة : « هذه الأناجيل الأربعة التي تؤكد (الكنيسة) تاريخيتها دون تردد ، تنقل بشكل أمين فعلاً أقوال وأفعال المسيح ، ابن الله ، طيلة حياته بين البشر لخلصهم الأبدى وإلى أن رفع إلى السماء » . ويظهر بوضوح تام أن عمل مدرسة الكتاب المقدس بالقدس يأتي إلى دعاوى المجمع بتكذيب صارم .

### تاريخ النصوص

يخطئ من يعتقد أن الأناجيل شكلت ، بمجرد تحريرها ، الكتب المقدسة الأساسية للمسيحية الوليدة وأنه قد اعتمد عليها مثلما كان يعتمد على العهد القديم . لقد كانت السلطة السائدة في ذلك الوقت للتراث الشفهي الذي كان ينقل أقوال المسيح وتعاليم الحوارين . إن أول الكتابات المتداولة وأول ما ساد منها قبل الأناجيل هو رسائل بولس : ألم تكن قد كتبت قبل ذلك بعشرات من السنوات ؟

ولقد رأينا أنه قبل عام ١٤٠ م لم يكن هناك ما يشهد بأن هناك من يعرف وجود مجموعة من الكتابات الإنجيلية ، على عكس مما يكتب بعض المعلقين حتى اليوم . بل يجب انتظار عام ١٧٠ م حتى تكتسب الأناجيل صفة الأدب المعترف به كنيسياً . في تلك العصور المسيحية الأولى ، كان هناك تداول كثير من الكتابات عن المسيح ،

غير أنه لم يُعتدَّ بها ككتابات جديدة بصفة الصحة ، كما أوصت الكنيسة بإخفائها ومن هنا جاء اسم الأناجيل المزورة Apocryphes . ولقد بقي من هذه النصوص مؤلفات يحتفظ بها جيداً لأنها « كانت تتمتع بالتقدير العام » ، على ما تقول لنا الترجمة المسكونية ، ومن هذه رسالة برنابا Didache de Barnabe ولكن هناك نصوص أخرى قد « استبعدت بشكل أكثر عنفاً » ولم يتبق منها إلا بعض أجزاء . ولأنها كانت تعتبر ناقلة للخطأ العام فقد أخفيت عن أنظار المؤمنين . برغم ذلك فهناك من المؤلفات ، مثل أناجيل الناصريين وأناجيل العبرانيين وأناجيل المصريين التي عرفت بفضل تنويعات آباء الكنيسة ما كان يشبه عن قرب الأناجيل المعترف بها كنسياً . ونفس الأمر ينطبق على إنجيل توما وإنجيل برنابا .

وبعض هذه الكتابات « المزورة » يحتوى على تفاصيل خرافية أنتجها الخيال الشعبي . وعلى ذلك فبعض مؤلفي دراسات عن الأناجيل المزورة يذكرون برضى شديد الوضوح مقاطع من هذه التفاصيل تدعو حقاً للسخرية . لكن من الممكن أن نجد مثل هذه الفقرات في كل الأناجيل . ولندكر فقط الوصف الوهمي للأحداث التي يدعى متى أنها قد وقعت عند موت المسيح . يمكن إذن أن نجد فقرات تفتقر إلى الجدية في كل كتابات العصور الأولى للمسيحية : وعلى المعلقين أن يتحلوا شرف الاعتراف بهذا .

لقد قادت وفرة الروايات عن المسيح الكنيسة في مرحلة انتظامها إلى إجراء استبعاد لكثير من المؤلفات . وربما كان ما حذف مائة إنجيل ! لقد احتفظ فقط بأربعة من الأناجيل لتدخل في قائمة رسمية من كتابات العهد الجديد والتي تشكل ما يسمى بالكتب المعترف بها كنسياً .

وفي منتصف القرن الثاني ، دفع مارسيون Marcion بصرامة السلطات الكنسية إلى اتخاذ موقف . وكان خصماً لدوداً لليهود وكان يرفض كل العهد القديم ويرفض من الكتابات اللاحقة على المسيح ما كان يبدو منها على ارتباط وثيق بالعهد القديم أو التراث اليهودي - المسيحي . ولم يعترف مارسيون إلا بإنجيل لوقا لأنه ، في رأيه ، التحدث باسم بولس ، وبكتابات بولس .

وحكمت الكنيسة على مارسيون بالهرطقة ووضعت في القائمة الرسمية كل رسائل بولس ولكن مع الأناجيل الأخرى لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا وألحقت به أيضاً بعض الكتب الأخرى مثل «أعمال الرسل». ومع ذلك فالقائمة الرسمية تنوعت مع الزمن في هذه القرون الأولى من العصر المسيحي. وهناك مؤلفات اعتبرت فيما بعد معدومة القيمة (المزورة) كانت تحتل مكاناً مؤقتاً في هذه القائمة على حين كانت هناك كتابات أخرى، محتواة في القائمة الحالية للعهد الجديد، مستبعدة في ذلك العصر. لقد دام التردد حتى مجمعين: هيون في ٣٩٣ م، وقرطاجنة في ٣٩٧ م. ولكن الأناجيل الأربعة كانت دائماً موجودة بهذه القائمة.

ولا نستطيع إلا أن نأسف، مع الأب بومار، على اختفاء (كم) ضخمة من الكتب التي اعتبرتها الكنيسة مزورة، فقد كان لها أهمية تاريخية. الواقع أن الأب بومار يعطيها مكاناً في كتابه «الأناجيل الأربعة المتوافقة» إلى جانب الأناجيل الرسمية. ويلاحظ أن هذه الكتب كانت موجودة بالمكتبات حتى نهاية القرن الرابع.

لقد شهد هذا القرن عصراً من التنظيم الجاد. وإلى هذا العصر ترجع أقدم المخطوطات الكاملة للأناجيل. فن الوثائق السابقة على هذا العصر، برديات يرجع تاريخها إلى القرن الثالث، وبردية أخرى قد ترجع إلى القرن الثاني، ولكنها لا تنقل لنا إلا أجزاء منفصلة. أما أقدم مخطوطتين من الرق فهما مخطوطتان يونانيتان من القرن الرابع. وهما ما يعرفان بالـ Codex Vaticanus ومكان اكتشافها مجهول وهما محفوظتان بمكتبة الفاتيكان وبالـ Codex Sinaiticus وقد اكتشفت بجبل سيناء وهي محفوظة بالمتحف البريطاني. وتحتوي الوثيقة الثانية على مؤلفين مزورين.

وكما تقول الترجمة المسكونية في العالم مائتان وخمسون مخطوطة رقية أخرى معروفة، وآخرها يرجع إلى القرن الحادى عشر. ولكن «كل نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست متطابقة. بل على العكس فيمكن للقارئ أن يميز فيما بينها فروقاً قد تختلف في الأهمية ولكن عددها على أى حال كبير. وبعض هذه الاختلافات لا تخص إلا تفاصيل في النحو أو المفردات أو ترتيب الكلمات. ولكن في مؤلفات أخرى يلاحظ بين المخطوطات اختلافات

تمس معاني فقرات بأكملها . « وإذا أردنا أن ندرك هذه الاختلافات النصية فيمكن الرجوع إلى العهد الجديد اليوناني Novum Testamentum Graece <sup>(١)</sup> فهذا الكتاب يحتوى على نص يوناني يقال له « متوسط » وهو نص مركب يشتمل في حواشيه على كل النقاط المختلفة التي يجدها القارئ في مختلف النسخ .

إن صحة أى نص ، حتى أكثر النصوص احتراماً ، قابلة دائماً للنقاش . إن المخطوطة المعروفة باسم Codex Vaticanus تعطى مثلاً على ذلك . فطبعتها المطابقة للأصل التي أعادتها الفاتيكان عام ١٩٦٥ تحتوى على تنبيه من نفس المصدر يخبرنا « بأنه بعد مرور قرون عدة على النسخة » ( القرن العاشر أو الحادى عشر كما يعتقد ) حبر أحد النساخ كل الحروف ما عدا التي رأى أنها خطأ . « وهناك عبارات من النص ما زالت فيه الحروف الأولى ، وهى بنية اللون ، ترى بشكل واضح ، وتصر على البقاء وتباین مع بقية النص الذى كتب بجبر بنى غامق . ولا شىء يسمح بتأكيد أن ترميم النص كان أميناً . وبالإضافة إلى ذلك فالتنبيه يحدد ما يلي : « لم تتمكن حتى الآن من أن نميز بشكل نهائى مختلف الأيدى التي صححت المخطوطة ووضعت عليه الحواشى عبر القرون ، ولا شك أن عدداً من التصحيحات قد عمل ساعة تحبير النص . » ومع ذلك فكل كتب التعليم الدينى تقدم هذه المخطوطة على أنها نسخة من القرن الرابع . ولا بد من الذهاب إلى مصادر الفاتيكان حتى ندرك أن بعض الأيدى قد حرفت النص بعد ذلك بقرون كثيرة .

وقد يجب أحد عن هذا بأن هناك نصوصاً أخرى تنفع في المقارنة . ولكن كيف يختار القارئ بين نقاط مختلفة تحرف المعنى ؟ المعروف جيداً أن تصحيحاً قديماً جداً لأحد النساخ يؤدى إلى إعادة نهائية لنص جرى عليه التصحيح بهذا الشكل . وسندرك تماماً فيما بعد أن كلمة واحدة في إنجيل يوحنا خاصة بالـ Paraclet تغير جذرياً معنى الفقرة وتغير رأساً على عقب دلالتها من وجهة النظر اللاهوتية .

وهذا ما كتب ا . كولمان بالنسبة للتفاصيل المختلفة في كتابه « العهد الجديد » يقول :  
« إنها قد تنتج عن أخطاء غير إرادية : إما أن يكون الناسخ قد أسقط كلمة وإما أن

يكون قد كتبها مرتين متتاليتين وإما أن يكون قد حذف سهواً جزءاً من الجملة كان موضوعاً في النص المطلوب نسخه بين كلمتين متماثلتين . وقد يكون المعنى به أيضاً تصحيحات إرادية : أما الناسخ فقد سمح لنفسه بتصحيح النص حسب أفكاره الشخصية، وإما لأنه يبحث عن التوفيق بين النص ونص آخر مواز حتى يقلل الاختلافات بينهما بشكل قد يقل أو يزيد مهارة . وتدرج انفصال كتابات العهد الجديد عن بقية الأدب المسيحي البدائي لينظر إليها ككتاب مقدس ازداد تردد النساخ في إجراء مثل هذه التصحيحات التي كان يقوم بها من سلفهم : وبهذا اعتقدوا أنهم ينقلون النص الصحيح وبهذا ثبتوا النقاط التفصيلية المختلفة . أحياناً أخرى يكتب الناسخ تعليقاً على هامش النص ليشرح عبارة مهمة . ويأتي الناسخ التالي ويظن أن العبارة المكتوبة على هامش النص قد سقطت عند ناسخ آخر ويرى ضرورياً إدخال التعليق الهامشي على النص . وبهذا ، أحياناً ، يصبح النص الجديد المنقول أكثر عموضاً .

إن نساخ بعض المخطوطات يسمحون لأنفسهم بحريات كبيرة مع النص . فهكذا الأمر بالنسبة لناسخ أحد أكثر النصوص إجلالاً بعد النصين المذكورين أعلاه وهو الـ Codex Bezae Cantabrigiensis الذي يرجع إلى القرن السادس . فقد لاحظ الناسخ ، ولاشك ، الفرق بين سلسلة نسب المسيح في كل من إنجيل لوقا ومتى ولذلك وضع في نسخته لإنجيل لوقا نسب المسيح عند متى . ولما كانت هذه الأخيرة تحتوي على كم من الأسماء أقل من الأولى فإنه قام بتضخيمها بأسماء إضافية (دون أن يقيم توازناً مع ذلك) .

والسؤال هو : هل الترجمات اللاتينية ، مثل Vulgate للقديس يرونيوس (القرن الرابع) والترجمة القديمة Vetus Itala والترجمات السيريرية والقبطية هل هي أكثر أمانة من المخطوطات اليونانية الأساسية ؟ فربما تكون قد كتبت اعتماداً على مخطوطات أكثر قدماً من تلك التي ذكرنا وغير موجودة في عصرنا . لا أحد يعلم شيئاً عن هذا .

لقد نجح المتخصصون في تصنيف مجموع هذه النصوص في عائلات تجمع عدداً من الصفات المشتركة . وهكذا يمكن ، حسب كولمان ، تعريف ما يلي :

- نص يقال له سوري ، ربما انتهت إلى تشكيله أقدم وأغلب النصوص اليونانية ، وقد انتشر هذا النص انتشاراً واسعاً في أوروبا ابتداء من القرن السادس عشر بفضل آلة الطباعة وهو أسوأ النصوص في رأى المتخصصين .

- نص يقال له غربي بنسخه اللاتينية القديمة وما يعرف بالـ Codex Bezae Cantabrigiensis وهو نص يوناني ولاتيني في آن واحد (ويتسم هذا النص في رأى الترجمة المسكونية ، باتجاه صريح نحو التعليل وعدم الدقة والإطناب والتوفيق) .

- نص يقال له محايد ينتمى إليه الـ Codex Vaticanus والـ Codex Sinaiticus وهو أكثر نقاء ، وهذا النص هو الذى تعتمد عليه اليوم طبعات العهد الجديد برغم أنه هو أيضاً يحتوى على بعض العيوب (الترجمة المسكونية) .

إن كل ما يستطيع نقد النصوص الحديث أن يقدمه لنا من وجهة النظر هذه هو محاولته لإعادة بناء «نص يتمتع بأكبر الفرص الممكنة في أن يقترب من النص الأصلي . وعلى أى حال فلا مجال مطلقاً للأمل في الوصول إلى النص الأصلي نفسه» (الترجمة المسكونية) .

## الأناجيل والعلم الحديث شجرة نسب المسيح

تحتوى الأناجيل على قليل جداً من الفقرات التى تستطيع أن تقود إلى مقارنة مع المعطيات العلمية الحديثة .

وقبل كل شئ فكثير من روايات الأناجيل التى لها صلة بمعجزات ما لا تسمح مطلقاً بأى تعليق علمى . وهذه المعجزات تتعلق بأشخاص : مثل شفاء المرضى (المسوسون والعميان والمشلولون والمصابون بالبرص ، وبعث إيعازر) كما تتعلق بظواهر مادية صرف تقع على هامش القوانين الطبيعية (كمشى المسيح على صفحة المياه التى تحمله وتغير الماء إلى نبيذ) . وقد تكون المعجزة أحياناً ظاهرة طبيعية غير عادية بسبب تحقيقها فى زمن قصير جداً كسكون العاصفة الفجائى أو تخفيف التين فى لحظة أو ذلك الصيد المعجز وكان كل أسماك البحيرة قد تجمع فى نقطة محددة كانت الشباك قد أقيت بها .

وفى هذه الأحداث يتدخل الله بقدرته ، ولا يدهش المرء مما يقدر الله على فعله ويبدو للإنسان كمعجزات وإن لم تكن كذلك بالنسبة له . إن هذه الاعتبارات لا تعنى بأى حال أن على المؤمن ألا يتدخل فى شئون العلم . فالإيمان بمعجزة إلهية والإيمان بالعلم أمران يتفقان تماماً . فالأولى إلهية المستوى والثانية إنسانية المستوى .

شخصياً أعتقد عن طيب خاطر أن المسيح قد استطاع أن يشفى الأبرص ولكنى لا أستطيع أن أقبل بأن يقال بصحة وإلهام الله لنص أقرأ فيه أن عشرين فقط من الأجيال قد عاشت بين أول إنسان وإبراهيم ، يقول ذلك لوقا فى إنجيله ( ٣ ، ٢٣ ، - ٢٨ ) . وسنرى بعد قليل الأسباب التى تقرر أن نص لوقا ، كالنص الخاص بنفس الموضوع فى العهد القديم قد صدر عن الخيال البشرى .

إن الأناجيل (كالتقرآن) تعطينا نفس المعطيات عن أصول المسيح البيولوجية . إن نمو المسيح فى رحم أمه قد حدث خارج قوانين الطبيعة المشتركة بين كل الكائنات البشرية .

فالبويضة التي أنتجها مبيض أمه لم تحتج للالتقاء بحيوان منوي يأتي من أبيه ليشكل جنيناً ثم طفلاً قابلاً للحياة . إن الظاهرة التي تؤدي إلى ميلاد الكائن الحي دون تدخل من العنصر المخصب الذكر ، تسمى بالتلقيح الذاتي Parthenogenese ويمكن ملاحظة التلقيح الذاتي في عالم الحيوان تحت ظروف معينة . وتلك حالة حشرات متنوعة وبعض اللافقريات وهي تخص أيضاً حالة جنس متقى من الطيور ولكن هذا استثنائي جداً . وقد أمكن بالتجربة عند بعض الثدييات ، أنثى الأرنب مثلاً ، الحصول على بداية لتطور البويضة إلى حالة جنينية في مرحلة أولية جداً دون إدخال حيوان منوي . ولم يمكن الذهاب إلى أبعد من هذا ولا يعرف ، عند هذه الثدييات أى مثال لتلقيح ذاتي مكتمل ، لا بالتجربة ولا بالطبع . أما المسيح فهو حالة خاصة . فقد كانت مريم أمّاً عذراء . وقد احتفظت بعذريتها ولم تلد أطفالاً غير المسيح . إن المسيح استثناء بيولوجي <sup>(١)</sup> .

### شجرتا نسب المسيح

تطرح شجرتا النسب اللتان يحتوي عليهما إنجيلا متى ولوقا مشاكل تتعلق بالمعقولة وبالتناق مع المعطيات العلمية ومن هنا فهى مشاكل تتعلق بالصحة . هى مشاكل تخرج جداً المعلقين المسيحيين فهم يرفضون أن يروا فيها ما هو بجلاء نتاج للخيال الإنساني : ولقد ألهم الخيال الإنساني كتاب سفر التكوين الكهنوتيين في القرن السادس قبل الميلاد في موضوع أنسال البشر الأول . وهو أيضاً الذى ألهم متى ولوقا بالنسبة إلى ما لم يستلهمه هذان الكاتبان من العهد القديم .

وبادئ ذي بدء يجب ملاحظة أن هذين النسيين من جهة الرجال معدوم المعنى فيما يتعلق بالمسيح . ولو كان من الضروري إعطاء المسيح نسباً ، وهو وحيد مريم (أمه) . وليس له أب بيولوجي ، فيجب أن يكون ذلك النسب من جهة مريم فقط .

(١) تذكر الأناجيل أحياناً « إخوة » و« أخوات » للمسيح (متى ١٣ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٨ ، مرقس ٦ ، ١ ، ٦ ، يوحنا ٧ ، ٣ ، ٢ ، ١٢) . والكلمتان اليونانيتان المستخدمتان للتعبير عن هذه هما adelphoi-adelphai وتعنيان بالفعل إخوة وأخوات بالمعنى البيولوجي ، وهذه بالتأكيد ترجمة قاصرة لكلمتين من أصل سامي وتعنيان أقرباء دون زيادة ، وربما كان المقصود أيضاً هو أولاد العمّة أو الخالة .

وها هي ذى نصوص هذا النسب حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد : يضع متى  
شجرة نسب المسيح على رأس إنجيله :

### كتاب أصول عيسى المسيح بن داود بن إبراهيم

وأجاز ولد حزقيا	إبراهيم ولد إسحاق
وحزقيا ولد منسى	وإسحاق ولد يعقوب
ومنسى ولد أمون	ويعقوب ولد يهوذا وإخوته
وأمون ولد يوشيا	ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار
ويوشيا ولد يكنيا وإخوته	وفارص ولد حصرون
وكان النفي إلى بابل	وحصرون ولد آرام
بعد النفي بيابل :	وآرام ولد عمينا داب
يكنيا ولد شالتييل	وعمينا داب ولد نحشون
وَشَالْتَيْيِلُ وُلِدَ زَرْبَابِيلُ	وَنَحْشُونُ وُلِدَ سَلْمُونُ
وَزَرْبَابِيلُ وُلِدَ أَبِيهَوْدَ	وسلمون ولد بوغز من راحاب
وَأَبِيهَوْدَ وُلِدَ الْيَاقِيمَ	وبوغز ولد عوبيد من راعوث
وَالْيَاقِيمَ وُلِدَ عَازُورُ	وعوبيد ولد يسي
وَعَازُورُ وُلِدَ صَادُوقَ	ويسي ولد داود الملك *
وَصَادُوقُ وُلِدَ أَخِيْمَ	وداود الملك ولد سليمان من التي لاوريا
وأكيم ولد اليهود	وسليمان ولد رحبعام
واليهود ولد العازار	ورحبعام ولد أيبا
والعازار ولد متان	وأيبا ولد أسا
ومتان ولد يعقوب	وأسا ولد يهوشافاط
ويعقوب ولد يوسف	ويهوشافاط ولد يورام
رَجُلَ مَرْيَمَ الَّتِي وُلِدَ مِنْهَا	ويورام ولد عزيا
عيسى الذي يدعى المسيح .	وعزيا ولد يوتام
	ويوتام ولد أجاز

وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْعِدَدُ بِالْإِجْمَالِ لِلْأَجْيَالِ هُوَ أَرْبَعَةٌ عَشْرَ جَيْلًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِلَى دَاوُدَ وَأَرْبَعَةٌ عَشْرَ جَيْلًا مِنْ دَاوُدَ إِلَى الْمُنْفَى بَابِلَ ، وَأَرْبَعَةٌ عَشْرَ جَيْلًا مِنَ الْمُنْفَى بَابِلَ حَتَّى الْمَسِيحِ .

أَمَّا لَوْحًا ( ٣ ، ٢٣ - ٢٨ ) فَإِنَّهُ يُعْطَى الْمَسِيحَ نَسَبًا يَخْتَلِفُ عَنْ ذَلِكَ الَّذِي فِي أَنْجِيلِ مَتَّى . وَنَقَدْمَهَا فِيمَا يَلِي حَسَبَ نَفْسِ التَّرْجُمَةِ :

وَلَمَّا ابْتَدَأَ عَيْسَى كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً . وَهُوَ كَانَ عَلَى مَا يُظَنُّ ابْنَ يُوْسُفَ بْنِ هَالِي ، ابْنِ مَتَّى بْنِ لَأْوِي بْنِ مَلِكِي بْنِ يَنَا بْنِ يُوْسُفِ ، بْنِ مَتَّيَّا بْنِ عَامُوصِ ، بْنِ نَاحُومِ بْنِ حِسْلِي بْنِ نَاجَايِ بْنِ مَآثِ بْنِ مَتَّيَّا بْنِ شَمْعِي بْنِ يُوْسُفِ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوْحَنَّا بْنِ رِيسَا ابْنِ زُرْبَابِلِ بْنِ شَالْتَيْثِيلِ بْنِ نِيرِي بْنِ مَلِكِي بْنِ إِدِي بْنِ قِصَمِ بْنِ الْمُوْدَامِ بْنِ عَيْرِ ، بْنِ مُوسَى ابْنِ الْيَعَاذَرِ بْنِ يُوْرِيمِ بْنِ مَتَّى بْنِ لَأْوِي ، بْنِ شَمْعُونَ بْنِ يَهُوذَا بْنِ يُوْسُفِ بْنِ يُونَانَ ابْنِ الْيَاقِيمِ ، بْنِ مَلِيَا بْنِ مِيْنَا بْنِ مَتَّانَا بْنِ نَآثَانَ بْنِ دَاوُدِ ، بْنِ يَسَى بْنِ عُوْبَيْدِ بْنِ بُوْعَزِ بْنِ شَالِحِ بْنِ نَحْشُونَ بْنِ عَمِينَارَابِ بْنِ أَدْمَنِي بْنِ عَرْنِي بْنِ حِصْرُونَ بْنِ فَارِصِ ابْنِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوبِ بْنِ إِسْحَاقِ بْنِ إِبْرَاهِيمِ بْنِ تَارِحِ بْنِ نَاحُورِ ، بْنِ سُرُوحِ بْنِ رَعُوْبِ بْنِ فَالِحِ بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِحِ ، بْنِ قِيْنَا بْنِ أَرْفَكَشَارِ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لَامِكِ ، بْنِ مَتُوشَالِحِ بْنِ أَخْنُوخِ بْنِ يَارْدِ بْنِ مَهَلْتَيْثِيلِ بْنِ قِيْنَا بْنِ أَنْوْشِ بْنِ شَيْتِ بْنِ آدَمِ بْنِ اللَّهِ .

وتزداد هذه الأنساب وضوحاً (بوضعها) في جدولين يعرض أولها أنساب المسيح قبل داود ويعرض الآخر أنسابه بعد داود .

## نسب المسيح ، قبل داود

حسب إنجيل لوقا

حسب إنجيل متى

- ١ آدم
- ٢ شيت
- ٣ أندش
- ٤ قينان
- ٥ مهليل
- ٦ يارد
- ٧ أخنوخ
- ٨ متوشالح
- ٩ لامك
- ١٠ نوح
- ١١ سام
- ١٢ أرفكشاد
- ١٣ قينان
- ١٤ شالح
- ١٥ عابر
- ١٦ فالج
- ١٧ راعو
- ١٨ سروح

متى لا يذكر أى  
اسم قبل إبراهيم

## حسب إنجيل لوقا

١٩	ناحور
٢٠	تارج
٢١	إبراهيم
٢٢	إسحاق
٢٣	يعقوب
٢٤	يهوذا
٢٥	فارص
٢٦	حصرون
٢٧	عرفى
٢٨	أدمنى
٢٩	عمينا داب
٣٠	نحشون
٣١	شالغ
٣٢	بوعز
٣٣	عوبيد
٣٤	يسى
٣٥	داود
٣٦	ناتان
٣٧	متاتا
٣٨	منا
٣٩	مليا
٤٠	ألياقيم

## حسب إنجيل متى

١	إبراهيم
٢	إسحق
٣	يعقوب
٤	يهوذا
٥	فارص
٦	حصرون
٧	آرام
٨	عمينا داب
٩	نحشون
١٠	سليمان
١١	بوعز
١٢	عبيد
١٣	يسى
١٤	داود
١٥	سليمان
١٦	رجعام
١٧	أبيا
١٨	أسا
١٩	بوشافاط

## نسب المسيح بعد داود

## حسب إنجيل متى

## حسب إنجيل لوقا

٦٤ مآت	٤١ يونان	٢٠ بورام
٦٥ نجای	٤٢ يوسف	٢١ عزيا
٦٦ حسی	٤٣ يهوذا	٢٢ يوتام
٦٧ ناحوم	٤٤ شمعون	٢٣ أجاز
٦٨ عاموس	٤٥ لاوى	٢٤ حزقيا
٦٩ متيا	٤٦ متات	٢٥ منسى
٧٠ يوسف	٤٧ يوريوم	٢٦ أمون
٧١ ينا	٤٨ عازر	٢٧ يوشيا
٧٢ ملكى	٤٩ بوسى	٢٨ يكنيا
٧٣ لاوى	٥٠ غير	النفى إلى بابل
٧٤ متات	٥١ المودام	٢٩ شالثيل
٧٥ على	٥٢ قوسام	٣٠ زربابل
٧٦ يوسف	٥٣ آدى	٣١ أبيهود
٧٧ عيسى	٥٤ ملكى	٣٢ ألياقيم
	٥٥ نيرى	٣٣ عازور
	٥٦ شالثيل	٣٤ صادق
	٥٧ زربابل	٣٥ أكيم
	٥٨ ريسا	٣٦ اليهود
	٥٩ يوحنا	٣٧ ألعازار
	٦٠ يهوذا	٣٨ متان
	٦١ يوسف	٣٩ يعقوب
	٦٢ شمعى	٤٠ يوسف
	٦٣ متبا	٤١ عيسى

## الفروق حسب المخطوطات

### وبالنسبة إلى العهد القديم

إذا وضعنا جانباً الاختلافات الإملائية فيجب أن نذكر :

#### (أ) إنجيل متى :

لقد زال نسب المسيح من النص المعروف باسم Codex Bezae Cantabrigiensis وهي مخطوطة هامة جداً ، ترجع إلى القرن السادس ، مزدوجة اللغة (يونانية ولاينية) : وقد اختفى النص اليوناني تماماً واختفت غالبية النص اللاتيني ، وفيما يخص الجزء الضائع ربما الذى حدث هو مجرد ضياع الأوراق الأولى فقط . ولا بد من الإشارة إلى الحرية الكبيرة جداً التى اتخذها متى إزاء العهد القديم : فقد حذف الأنساب منه لاحتياجات تختص ببرهنة حساسية غربية (وفى نهاية الأمر لا يعطى متى هذا البرهان كما سنرى ذلك فيما بعد) .

#### (ب) إنجيل لوقا

١ - قبل إبراهيم : يذكر لوقا عشرين اسماً ، أما العهد القديم فهو لا يذكر إلا تسعة عشر اسماً فقط (أنظر جدول أنسال آدم فى الجزء المكرس للعهد القديم) . وقد أضاف لوقا بعد أرفكشاد (رقم ١٢) رجلاً يدعى كايانام (رقم ١٣) لا نجد له أى أثر فى سفر التكوين باعتباره ابن أرفكشاد .

٢ - من إبراهيم إلى داود : نجد عدداً يروح بين ١٤ ، ١٦ اسماً وذلك حسب المخطوطات .

٣ - من داود إلى المسيح : ونقطة الاختلاف الهامة هى التى توجد فى النسخة المعروفة باسم Codex Bezae Cantabrigiensis الذى ينسب إلى لوقا شجرة نسب وهمية صنعت من النسب عند متى والتى أضاف الناسخ إليها خمسة أسماء . ومما يؤسف له أن الجزء الخاص بنسب المسيح من هذه المخطوطات قد اختفى ، وبهذا لم تعد المقارنة ممكنة .

## دراسة نقدية للنصوص

يرى القارئ هنا شجرتى نسب المسيح والنقطة المشتركة الجوهرية هي المرور بإبراهيم وداود . ولتيسير هذه الدراسة سنتصدى للنقد بتقسيم المجموع إلى ثلاثة أجزاء .

- من آدم إلى إبراهيم .
- من إبراهيم إلى داود .
- من داود إلى المسيح .

### ١- الفترة من آدم إلى إبراهيم

بما أن متى يبدأ شجرة نسب المسيح بإبراهيم ، فالأمر هنا لا يخصه . إن لوقا فقط هو الذى يعطى معلومات عن أسلاف إبراهيم حتى آدم : وهو يعطى عشرين اسماً يوجد منها ، كما قلنا ، تسعة عشر اسماً بسفر التكوين (الإصحاحات ٤ و ٥ و ١١) .

أيمكن تصور أنه لم يكن هناك إلا ١٩ أو ٢٠ جيلاً من الكائنات البشرية قبل إبراهيم؟ لقد درست المشكلة فيما يختص بالعهد القديم . وإذا رجع القارئ إلى جدول أنسال آدم حسب سفر التكوين والذى يحتوى على الإحداثيات الحسائية الزمنية التى يمكن استنتاجها من نص التوراة ، فسنجد أنه قد مر حوالى ١٩ قرناً فيما بين ظهور الإنسان على الأرض وميلاد إبراهيم . ولكن ، لما كان المتخصصون يقدرون حالياً أن إبراهيم كان يعيش فى عام ١٨٥٠ ق . م . تقريباً ، فإننا نستنتج أن الإحداثيات التى يعطيها سفر التكوين تحدد ظهور الإنسان على الأرض بحوالى ٣٨ قرناً قبل المسيح . وبالطبع فقد استلهم لوقا هذه المعطيات ليحرر إنجيله . ولأنه نقل هذه المعطيات فقد وهم . ولقد رأى القارئ أعلاه الحجج التاريخية القاطعة التى أدت إلى هذه الدعوى .

وعلى هذا فإن تكوين معطيات العهد القديم غير مقبولة فى عصرنا . فذلك أمر يمكن تبريره : حيث إن هذه المعطيات تقع فى ميدان «البطلان» الذى نتحدث عنه مجمع الفاتيكان الثانى . أما أن يأخذ المبشرون على عاتقهم بنفس هذه المعطيات التى لا تتواءم مع

العلم فذلك تقرير بالغ الجسامة يتعارض مع الذين يدافعون عن الصحة التاريخية للنصوص الإنجيلية .

لقد أدرك المعلقون جيداً خطورة هذا التقرير . وهم يحاولون تجنب هذه الصعوبة بقولهم إنه ليس المقصود هو شجرة نسب المسيح بتمامها وإن المبشرين قد أسقطوا أسماء عن عمد وإن ما يجب أن يدخل في الحساب هو فقط « نية وضع الخطوط العريضة أو العناصر الجوهرية لنسب المسيح بالاعتماد على الواقع التاريخي <sup>(١)</sup> » . وليس في النصوص ما يسمح بإقامة مثل هذا الفرض . فنصوص الأنساب تعين بالتحديد أن فلاناً قد ولد فلاناً وأن هذا ابن ذلك . وزيادة على ذلك وبالنسبة لما يسبق إبراهيم على وجه خاص ، فقد نهل المبشر من العهد القديم الذى يعرض الأنساب على الوجه التالى :

س . . فى سن كذا أنجب ص . . وعاش ص كمّاً من الأعوام وأنجب ع . . إذن ليس هناك انقطاع فى التسلسل .

وعلى هذا فالجزء السابق على إبراهيم من نسب المسيح حسب إنجيل لوقا يصبح غير مقبول فى ضوء المعارف الحديثة .

## ٢ - الفترة من إبراهيم إلى داود

هنا ، تتفق شجرتا النسب أو تكادان ، بفرق يبلغ اسماً أو اسمين : وقد يمكن تسوية هذا الفرق بأخطاء للنساخت غير إرادية .

ولكن هل احتمال الصدق هنا فى جانب المبشرين ؟

إن التاريخ يحدد عصر داود حول عام ١٠٠٠ ق . م ، وعصر إبراهيم تقريباً حوالى ١٨٥٠ ق . م . أى ١٤ أو ١٦ جيلاً ثمانية قرون تقريباً . . هل هذا معقول ؟ لنقل إذن إن النصوص الإنجيلية ، فيما يختص بتلك الفترة ، تقع على حدود الأمور المقبولة .

### ٣ - الفترة التالية لداود

للاسف ، لا تتفق النصوص بتاتاً في تحديد السلف الداودي ليوسف ، أى أسلف المسيح في الإنجيل .

ولنضع جانباً التزييف الصريح في الوثيقة المعروفة باسم Codex Bezae Cantabrigiensis وفيما يختص بلوقا ، ولنقارن بين ما تأتينا به الوثيقتان الأكثر تمتعاً بالاحترام وهما ال Codex Vaticanus و ال Codex Sinaiticus .

تحتوى شجرة نسب المسيح عند لوقا على ٤٢ اسماً بعد داود (رقم ٣٥) وحتى المسيح (رقم ٧٧) . أما إنجيل متى فيشير إلى ٢٧ اسماً بعد داود (رقم ١٤) وحتى المسيح (رقم ٤١) . إذن فعدد أسلاف المسيح (الاعتباريين) بعد داود مختلف في الإنجيلين . ويضاف إلى ذلك أن الأسماء نفسها مختلفة .

لكن هناك أكثر من ذلك :

يقول لنا متى إنه قد اكتشف أن أسلاف المسيح ينقسمون ابتداءً من إبراهيم إلى ثلاث مجموعات يحتوى كل منها على ١٤ اسماً : المجموعة الأولى من إبراهيم إلى داود ، والمجموعة الثانية من داود إلى المنى إلى بابل ، والمجموعة الثالثة من الننى إلى بابل حتى المسيح . ويحتوى نص متى فعلاً على ١٤ اسماً في كل من المجموعتين الأوليين ولكن المجموعة الثالثة - من الننى إلى بابل حتى المسيح - لا تحتوى إلا على ١٣ اسماً وليس ١٤ كما كان يتتظر . فالجدول يشير إلى أن رقم شالتييل هو ٢٩ والمسيح ٤١ . وليست هناك أية نسخة مختلفة أخرى لمتى تحتوى على ١٤ اسماً في هذه المجموعة .

وحتى ينجح متى في إدخال ١٤ اسماً في مجموعته الثانية فإنه يتصرف بجرية شديدة مع نص العهد القديم . وتتفق أسماء الأسلاف الستة الأولى لداود (من ١٥ إلى ٢٠) مع معطيات العهد القديم . ولكن متى يغفل أنسال يورام (رقم ٢٠) الذين تقول لنا أخبار الأيام الثاني إنهم أحاذياس ويواس وأماسيا . ويضاف إلى ذلك أن يكتنيا (رقم ٢٨) هو ابن يوشيا (رقم ٢٧) على حين يقول لنا كتاب الملوك الثاني إنه الياقيم ومكانه بين يوشيا ويكتنيا .

بهذا يثبت أن متى قد عدل في تسلسل النسب في العهد القديم لكي يقدم مجموعة مصطنعة من ١٤ اسماً بين داود والنبي إلى بابل .

أما أن ينقص المجموعة الثالثة اسم حيث إنه ليس هناك أى نص حالى لهذا الإنجيل يحتوى على الـ ٢٤ اسماً المشار إليها- فالدهشة لا ترجع إلى وجود الثغرة نفسها (فقد يكون تبرير ذلك هو خطأ قديم جداً لأحد النساخ قد استمر حتى الآن) بقدر ما ترجع إلى الصمت شبه التام للمعلقين على هذا الموضوع . فكيف لا يرون الثغرة ؟ لقد قطع و . ترلينج (١) W. Trilling هذا الصمت الورد في كتابه «إنجيل متى» بسطر واحد . لكن الأمر بعيد كل البعد عن أن يكون معدوم الأهمية ، فالمعلقون على هذا الإنجيل ، بما في ذلك المعلقون على الترجمة المسكونية وآخرون مثل الكاردينال دانييلو Danielou يكشفون عن الأهمية الكبرى لرمز العدد ١٤ مضروباً في ٣ عند متى . أفلم يحذف هذا المبشر دون تردد أسماء جاءت في التوراة لكي يوفق في برهنته الحسابية ؟

هذا لا يهم فقد أقام المعلقون بناء على المديح والتبرير يعلل إسقاط الأسماء ويتجنب الثغرة وبذلك ينهار ما أراد المبشر إثباته .

### تعليقات المفسرين المحدثين

في كتاب «إنجيل الطفولة» Les Evangiles de l'enfance (١٩٦٧) (٢) يعطى الكاردينال دانييلو قيمة رمزية ذات أهمية كبرى «للبيان الحسابي» في إنجيل متى . فهذا البيان في نظره هو الذى يحدد أسلاف المسيح الذين يؤكدهم لوقا أيضاً . إن لوقا ومتى ، في نظر الكاردينال دانييلو ، «مؤرخان» قاما «بتحقيق تاريخي» ، بما أن نسب المسيح «مقتبس من أرشيف عائلة المسيح» . ولا بد من تحديد أن هذا الأرشيف لم يعثر عليه قط (٣) .

(١) Desclée, Collection 'Parole et Priere'

(٢) Editions du Seuil

(٣) بالرغم من أن المفسر يؤكد لنا أنه يعرف وجود هذه «الأرشيفات» العائلية المزعومة من خلال «كتاب تاريخ الكنيسة» ليوزيب السيزاري Eusébe de Césarée وهو كاتب تدعو جدته إلى جدل كثير- فإن من العسير تخيل أن لعائلة المسيح شجرتي النسب تختلفان بالضرورة، حيث إن كلا من هذين «المؤرخين» يقدم نسباً للمسيح يختلف معظمه عن الآخر بالنسبة للأسماء وبالنسبة لعدد الأسلاف أيضاً .

ويلقى الكاردينال دانييلو اللعنة على هؤلاء الذين ينتقدون وجهة نظره . يقول : « إن العقلية الغربية والجهل باليهودية - المسيحية والافتقاد إلى الحس السامى كل هذا قد أضل كثيراً من المفسرين فى تفسير الأناجيل . فقد أسقطوا قاطيع غورياتهم (كذا) الأفلاطونية والعقلانية والهيكلية والهيدجرية ولهذا أصاب الخلط نفوسهم » . وواضح تماماً أن ليس لأفلاطون أو ديكارت أو هيكل أو هيدجر ناقة أو جهل فى هذا الموقف النقدى الذى قد يتخذه القارئ إزاء هذا النسب الوهمى للمسيح .

ويبحث المفسر عن معنى العدد ٣ مضروباً فى ١٤ ويطنب فى افتراضات غريبة لا نفعل إلا ذكرها . يقول : « قد يكون المقصود هو الأسابيع العشرة الاعتيادية للرؤيا اليهودى . مع طرح الأسابيع الثلاثة الأولى المناظرة للفترة الزمنية من آدم إلى إبراهيم : ويتبقى بعد ذلك الأسابيع السبعة السنوية التى تمثل الأسابيع الستة الأولى ، منها المجموعات الثلاث التى يتكون كل منها من ١٤ اسماً باعتبار أن المسيح يفتح الأسبوع السابع الذى يفتح به العمر السابع للعالم » . مثل هذه الشروح لا تحتاج لأى تعليق !  
والمعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد يقدمون هم أيضاً تنويعات تبريرية ومدججة محسوبة وهى لا تقل غرابة أيضاً . يقولون :

(١) قد يكون العدد ١٤ هو المجموع الحسابى للحروف الساكنة الثلاثة التى يتكون منها اسم داود فى العبرية (د = ٤ ، و = ٦) ومن هنا :  $١٤ = ٤ + ٦ + ٤$  .  
(ب)  $٧ \times ٦ = ١٤ \times ٣$  و « المسيح أتى فى نهاية الأسبوع السادس من التاريخ المقدس الذى يبدأ بإبراهيم . » وتعطى هذه الترجمة المسكونية للنسبة لإنجيل لوقا ٧٧ اسماً من آدم إلى المسيح وذلك يدخل من جديد الرقم ٧ باعتباره قاسماً العدد ٧٧ ( $٧٧ = ١١ \times ٧$ ) .  
ولكن عدداً من النقاط المختلفة عند لوقا يسقط الأسماء ويضيف أسماء أخرى بحيث إن أية قائمة تتكون عنده من ٧٧ اسماً هى قائمة مصطنعة ، حتى إن تمتعت بقابلية الدخول فى مثل هذه الألعاب الحسابية .

لا شك أن نسب المسيح فى الأناجيل موضوع قد دفع المعلقين المسيحيين إلى بهلوانيات جدلية متميزة صارخة تكافئ الوهم والهوى عند كل من لوقا ومتى .

## تناقضات وأمور غير معقولة في الروايات

يحتوى كل من الأناجيل الأربعة على عدد هام من الروايات التي تسرد أحداثاً قد تكون مذكورة في إنجيل واحد فقط أو تذكر في عدة أناجيل أو فيها كلها . فإذا كانت مذكورة في إنجيل واحد فقط ، فإنها تطرح مشاكل هامة ، وعلى هذا ففى حالة ما يكون الحدث بعيد المرئى فإن القارئ يدهش أن مبشراً واحداً فقط قد ذكره : وعلى سبيل المثال صعود المسيح إلى السماء يوم القيامة . يضاف إلى ذلك أن كثيراً من الأحداث مسرود بشكل مختلف وأحياناً بشكل مختلف جداً لدى اثنين أو أكثر من المبشرين . وكثيراً ما يدهش المسيحيون عندما يكتشفون وجود هذه التناقضات بين الأناجيل ، فقد كرر على مسمعهم وبكثير من التأكيد أن كتاب الأناجيل كانوا شهوداً معانين للأحداث التي أخبروا بها . ولقد أشرنا في الفصول السابقة إلى بعض هذه الأمور غير المعقولة وهذه التناقضات المثيرة للبلبله . ولكن ما يشكل بوجه خاص موضوع الروايات المتضاربة أو المتناقضة هو الأحداث الأخيرة التي طبعت حياة المسيح والتي تلت آلامه .

### روايات الآلام

ويلاحظ الأب روجى R.P. Roguet نفسه أن عيد الفصح معين بشكل مختلف زمنياً بالنسبة إلى عشاء المسيح الأخير مع الحوارين في الأناجيل الثلاثة المتوافقة وفي الإنجيل الرابع . فيوحنا يقول بوقوع هذا العشاء « قبل عيد الفصح » . أما الأناجيل الأخرى فتقول إنه حدث في أثناء عيد الفصح نفسه . ويؤدى هذا التضارب فضلاً عن ذلك إلى أمور واضحة في عدم معقوليتها : إذ يستحيل تصور هذا الحدث أو ذاك بسبب موقع عيد الفصح الذى تحدد بهذا الشكل وبالنسبة إلى هذا الحدث . وعندما ندرك أهمية عيد الفصح في الطقوس اليهودية والأهمية التي اكتسبها هذا العشاء الذى ودع فيه المسيح حواريه ، فكيف يمكن تصور أن التراث الذى نقله المبشرون فيما بعد قد نسى زمن هذا العشاء بالنسبة إلى عيد الفصح ؟

وبشكل أكثر عمومية فروايات الآلام تختلف بحسب الأناجيل وهي تختلف بشكل خاص بين الأناجيل الثلاثة الأولى وبين إنجيل يوحنا . فالعشاء الأخير للمسيح والآلام يحتلان في إنجيل يوحنا مساحة كبيرة تبلغ ضعف المساحة عند كل من مرقس ولوقا . ويزيد نص يوحنا بمقدار مرة ونصف مرة على نص متى . ويسرد يوحنا خطبة طويلة للمسيح نحو تلامذته ويحتل سرد هذه الخطبة أربع إصحاحات (من ١٤ إلى ١٧) في إنجيله . وعبر هذا الحديث الأعظم يعطى المسيح آخر إرشاداته لتلامذته الذين سيتركهم كما يسلمهم وصيته الروحية . وليس هناك أى أثر من هذا في الأناجيل الأخرى . وعلى العكس يسرد متى ولوقا ومرقس صلاة المسيح لجيتسأنى ، ولا يشير يوحنا إليها .

### غياب رواية تأسيس القربان المقدس من إنجيل يوحنا

وأهم ما يلفت قارئ الآلام في إنجيل يوحنا هو أنه لا يشير أية إشارة إلى تأسيس القربان المقدس في أثناء عشاء المسيح الأخير مع الحوارين .

وليس هناك مسيحى لا يعرف أيقونة العشاء الأخير حيث يجلس المسيح بين حواريه للمرة الأخيرة . لقد صور أعظم المصورين هذا الاجتماع الأخير وفيه يجلس يوحنا إلى جانب المسيح ، يوحنا . . . هذا الذى اعتدنا اعتباره مؤلف الإنجيل الذى يحمل اسمه .

ومهما كان فى ذلك دهشة للكثيرين فإن غالبية المتخصصين لا يعتبرون أن يوحنا الحوارى هو مؤلف الإنجيل الرابع وهذا الأخير لا يشير إلى تأسيس القربان المقدس . هذا على حين أن تقديس الخبز والخمر اللذين يصبحان جسد ودم المسيح هو الفعل الطقسى الكنسى الجوهرى للمسيحية . إن الأناجيل الثلاثة الأخرى تتحدث عن هذا الفعل ، وإن كان ذلك بألفاظ مختلفة كما أشرنا أعلاه . أما يوحنا ، فهو لا يقول عنه كلمة واحدة . روايات الأناجيل الأربعة تحتوى فقط على نقطتين مشتركتين : التنبؤ بإنكار بطرس وخيانة أحد الحوارين ( ولا يشار إلى يهوذا الأسخريوطى باسمه إلا فى إنجيل متى ويوحنا ) . إن إنجيل يوحنا وحده هو الذى يسرد غسل المسيح لأقدام تلاميذته فى بداية العشاء .

### كيف يمكن تفسير هذه الثغرة في إنجيل يوحنا؟

إذا أردنا التفكير بموضوعية فإن أول ما يرد على الخاطر ، على افتراض أن رواية الأنجيل الثلاثة الأولى صحيحة ، هو فرض ضياع هذه الفقرة من إنجيل يوحنا الذى يسرد نفس الحدث . ولكن هذا ما لم يتوقف عنده المعلقون المسيحيون . ولندرس بعض مواقفهم .

. ويقول ا . تريكو A. Tricot فى كتابه Petit Dictionnaire du Nouveau Testament تحت مقال بعنوان «العشاء الأخير» "Cene" ما يلى : «هو آخر عشاء تناوله المسيح مع الاثني عشر حوارياً والذى أسس فيه القربان المقدس . ونحن نملك رواية هذا العشاء فى الأنجيل الثلاثة المتوافقة» . (مراجع متى ومرقس ولوقا) ، «ويعطينا الإنجيل الرابع تفاصيل تكميلية» (مراجع يوحنا) . وفى مقال «القربان المقدس» يقول نفس هذا الكاتب ما يلى : «تسرد الأنجيل الثلاثة الأولى بتأسيس القربان المقدس بشكل مختصر وقد كانت تلك نقطة على أهمية كبرى فى التعليم المسيحى الرسول . وقد أعطى القديس يوحنا تكملة ضرورية لهذه الروايات الوجيهة وذلك بسرد خطبة المسيح عن خبز الحياة (الإصحاح ٦ : ٣٢ - ٥٨)» . وبالتالي لا يشير المعلق إلى أن يوحنا لم يسرد تأسيس المسيح للقربان المقدس . المؤلف يتحدث عن تفاصيل تكميلية لتأسيس القربان المقدس (والواقع أن المقصود هو منسك غسل أقدام الحوارين) . أما فيما يخص «خبز الحياة» الذى يتحدث عنه المعلق فالمقصود هو ذكر المسيح - خارج العشاء الأخير - للمن الذى وهبه الله فى الصحراء ، فى عصر خروج اليهود الذين كان موسى قادهم . ويوحنا هو الوحيد من بين المبشرين الذى يذكر بهذا الأمر . ولا شك فى أن يوحنا يشير ، فى الفقرة التالية فى إنجيله ، لإشارة المسيح للقربان المقدس ، وذلك فى شكل استطراد خاص بالخبز ، ولا يتحدث أى مبشر آخر عن هذا الحدث .

هكذا إذن يمكن أن ندهش لصمت يوحنا على ما يسرده المبشرون الثلاثة الآخرون ولصمت هؤلاء على ما أعلن المسيح عنه فى قول يوحنا .

هذه الثغرة الكبيرة في إنجيل يوحنا . . . يعترف بها المعلقون على الترجمة المسكونية للعهد الجديد ولكنهم يقدمون التبرير التالى لعدم سرد يوحنا لتأسيس القربان المقدس يقولون : « إن يوحنا ، عموماً ، لا يكن أى اهتمام إزاء تقاليد ومؤسسات إسرائيل القديمة . وربما كان هذا هو الذى جعله يجيد عن الإشارة إلى تأصل القربان المقدس في طقوس عيد الفصح . » كيف يريدون أن نصدق أن عدم الاهتمام بالطقوس الفصحية اليهودية هو الذى قاد يوحنا إلى أن لا يتحدث عن تأسيس المنسك الرئيسى في طقوس الدين الجديد ؟

إن المشكلة تخرج المفسرين إلى درجة أن علماء اللاهوت يتحدثون في البحث عن صور أولية أو معادلات للقربان المقدس في أحداث حياة المسيح التى يسردها يوحنا . فهكذا يرى كولمان O. Culmann في كتابه « العهد الجديد » أن معجزة قانا وتكاثر الخبز هما بمثابة صورة مسبقة لسر العشاء المقدس (تناول القربان المقدس) . . . ولندكر بأن ما حدث بقانا هو تحويل الماء إلى خمر فرغت عند عرس (وهى أول معجزة للمسيح ويذكرها يوحنا وحده من بين كل المبشرين ، في الإصحاح الثانى من إنجيله - الآيات من ١ إلى ١٢) . أما فيما يختص بتكاثر الأربعة (يوحنا ، الإصحاح السادس الآيات من ١ إلى ١٣) فقد أدى ذلك إلى إطعام خمسة آلاف شخص بخمسة أرغفة تكاثرت بمعجزة . وعندما سرد يوحنا هذه الأحداث فإنه لم يضيف أى تعليق خاص . إن عملية تقريب هذه المعجزات من تأسيس القربان المقدس هى من وحي خيال المفسر الصرف . ولا يرى القارئ سبب هذا التقريب ، كما يظل مبلبلاً جداً عندما يكتشف أن نفس هذا الكاتب يرى أن شفاء المشلول والأعمى يبشران بالتعميد وأن « الماء والدم الخارجين من صدر المسيح بعد موته يجمعان في حدث واحد » إحالة إلى التعميد والقربان المقدس .

وهناك تقريب آخر خاص بالقربان المقدس عند نفس هذا المفسر ويذكره الأب روجي في كتابه « مقدمة إلى الإنجيل Initiation в l'Évangile » . يقول : « يرى بعض علماء اللاهوت المتخصصين في الكتاب المقدس ، أن حكاية غسل الأقدام قبل العشاء الأخير معادل رمزى لتأسيس القربان المقدس . . . » .

ولا نرى جيداً أساس كل هذه التقريبات الوهمية التي يقول بها المعلقون حتى يجعلوا الناس يقبلون بسهولة أكثر تلك الثغرة المحيرة في إنجيل يوحنا .

### ظهور المسيح بعد قيامته

أعطينا سابقاً مثالا بارزاً على الخيال في الرواية بالنسبة لإنجيل متى وذلك فيما يخص وصفه لظواهرات غير طبيعية. قد صاحبت موت المسيح . والأحداث التي تلت قيامته قد أعطت مادة لروايات متناقضة بل غريبة عند كل المبشرين .

ويعطينا الأب روجي في كتابه «مقدمة إلى الإنجيل» (ص ١٨٢) أمثلة على الاختلاط والفوضى والتناقض التي تسود هذه الروايات ، فيقول :

« لا تتطابق تماماً في الأنجيل الثلاثة المتوافقة قائمة النساء الآتين إلى القبر . فليس هناك إلا امرأة واحدة في إنجيل يوحنا وهي مريم المجدلية . ولكنها تتحدث بضمير الجماعة كما لو كانت لها رفيقات فهي تقول : « لا نعرف أين وضعوه » . أما في إنجيل متى ففلاك هو الذي يعلن للنساء أنهم سيرين المسيح بالجليل . ولكن المسيح بعد لحظة يقابلهن على مقربة من القبر . ولا شك أن لوقا قد شعر بهذه الصعوبة وعدل قليلا في مصدره ، يقول الملاك :

« تذكرون كيف تحدث إليكن عندما كان بالجليل . . . » . والواقع أن لوقا لا يشير إلا إلى ظهور المسيح ثلاث مرات بعد قيامته . . . » - « أما يوحنا فيقول إنه ظهر مرتين على ثمانية أيام بمجمع بيت القدس ، ثم في المرة الثالثة يظهر بالقرب من البحيرة . . . إذن بالجليل . وأما متى فإنه يتحدث عن مرة واحدة لظهور المسيح بالجليل » . ويستبعد المعلق من هذه الدراسة خاتمة إنجيل مرقس التي تتحدث عن ظهور المسيح لأنه يعتقد أنها « قد كتبت بقلم آخر . »

وكل هذه الأمور تتناقض مع الإشارات إلى ظهور المسيح المحتواة في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس ( ١٥ ، ٥ - ٧ ) ، إذ يقول إنه قد ظهر لأكثر من خمسمائة شخص في وقت واحد ولجأك ولكل الحوارين دون أن ينسى نفسه .

وإنه لما يثير الدهشة بعد ذلك أن يندد الأب روجي في نفس هذا الكتاب « بالخورق

الطنانة والطفولية في بعض الأناجيل المزورة» فيما يتعلق بقيامة المسيح . ألا تصلح هذه الأوصاف بشكل كامل لمتى وبولس نفسه الذي يتناقض تماماً مع المبشرين الآخرين فيما يختص بظهور المسيح بعد قيامته ؟

يضاف إلى ذلك أن هناك تناقضاً بين رواية «أعمال الرسل» ، وهي من تأليف لوقا المبشر ، عن ظهور المسيح لبولس وبين ما يقوله لنا بولس عن ذلك بشكل موجز . لقد أدى هذا إلى أن يشير الأب كانينجسر R.P. Kannengiesser في كتابه «الإيمان بالقيامة وبعث الإيمان» (Foi en la Resurrection. Resurrection de la Foi) (١٩٤٧) إلى أن بولس «هو الشاهد المعاین الوحيد على قيامة المسيح الذي يصل بصوته إلينا مباشرة عبر ما كتب<sup>(١)</sup> ، لكنه لا يتحدث أبداً عن مقابله الشخصية مع المسيح بعد قيامته - هذا إذا استثنينا ثلاث إشارات شديدة التحفظ . . .» «بل أكثر من ذلك : أنه يمنع نفسه من وصف هذه المقابلة .»

إن التناقض جلي بين بولس ، وهو الشاهد المعاین الوحيد ولكنه مشكوك فيه ، وبين الأناجيل .

ويلاحظ ١ . كولمان في كتابه «العهد الجديد» التناقضات بين لوقا ومتى : فالأول يقول بظهور المسيح في الناصرة Judee ، أما الثاني فيقول إنه ظهر بالجليل . أما فيما يخص التناقض بين لوقا ويوحنا فلنذكر أن الحدث الذي يرويهِ يوحنا (الإصحاح ٢١ ، الآيات من ١ إلى ١٤) عن ظهور المسيح للصيادين بعد قيامته على شاطئ بحيرة طبرية وحصولهم بعد ذلك على سمك كثير حتى إنهم لا يستطيعون حمله ، ليس إلا رواية معادة لنفس حدث معجزة الصيد بنفس المكان في حياة المسيح في رواية لوقا (الإصحاح الخامس ، الآيات من ١ إلى ١١) .

ويؤكد لنا الأب روجي في كتابه ، وفيما يتعلق بمرات ظهور المسيح «إن هذا التفكك ، هذا الغموض ، هذا الاختلال يبعث على الثقة عنده» ، فكل ذلك يثبت أن

(١) ليس هناك أي كاتب للعهد الجديد يستطيع أن ينسب لنفسه مثل هذه الصفة .

المبشرين لم يتشاوروا فيما بينهم وإلا أعوزهم أن يوفقوا بين ما كتبوا<sup>(١)</sup> . وهذا تفكير غريب . فالواقع أنهم قد استطاعوا أيضاً أن يوردوا - بإخلاص تام وعلى غير علم منهم - كل الأقوال الموروثة لطوائفهم وذلك في قوالب روائية : كيف انتهى إلى إقامة هذا الفرض في مواجهة هذه الكثرة من التناقضات والأمور غير المعقولة في رواية الأحداث ؟

### صعود المسيح

تمتد التناقضات حتى نهاية الروايات لأنه ليس يوحنا ولا متى يشيران إلى صعود المسيح . فرقس ولوقا فقط يتحدثان عن هذا .

وبالنسبة لمرقس (١٦ ، ١٩) فإن المسيح « قد رفع إلى السماء وجلس على يمين الله » . وهذا دون تحديد تاريخي بالنسبة لقيامته . ولكن لا بد من ملاحظة أن نهاية إنجيل مرقس ، التي تحتوي على هذه الجملة ، ليست نصاً صحيحاً : وهي نص كتب وأضيف بعد ذلك ، في رأى الأب روجي حتى وإن كلنت الكنيسة تعتبره قانونياً .

يتبقى إنجيل لوقا فهو الوحيد الذى يذكر حدث الصعود وذلك في نص لا يناقشه أحد . (٢٤ ، ٥١) يقول : « انفصل المسيح عنهم وحمل إلى السماء » . ويضع لوقا الحدث في نهاية رواية قيامة المسيح وظهوره للأحد عشر حوارياً<sup>(٢)</sup> : وتتضمن تفاصيل الرواية الإنجيلية أن الصعود قد حدث يوم القيامة . ولكن لوقا يصف في « أعمال الرسل » ، والكل يعتقد أنه كاتبها ، مرات ظهور المسيح للحوارين بين الآلام والصعود بالألفاظ التالية : « وقد حصلوا منه على أكثر من آية على حين أظهر نفسه لهم وحدثهم ، طيلة أربعين يوماً ، عن ملكوت الله » (١ ، ٢-٣) . إن هذه الفقرة من « أعمال الرسل » هى الأصل في تحديد العيد المسيحي للصعود بأربعين يوماً بعد الفصح وحيث يحتفل بالقيامة . التاريخ إذن محدد على عكس إنجيل لوقا ، ويضاف إلى ذلك أن ليس هناك أى نص إنجيلي آخر يبرر هذا التحديد التاريخي .

إن المسيحي وقد عرف بهذا الموقف يشعر بالحيرة فالتناقض واضح . ومع ذلك فالترجمة

(١) لا تصور كيف كان يمكن لبعض المبشرين أن يفعل هذا .

(٢) المقصود هو الأحد عشر حوارياً حيث إن الثاق عشر ، وهو يهوذا ، قد مات .

المسكونية للعهد الجديد تعترف بهذا الواقع ولكنها لا تفيض في الحديث عن التناقض ، بل هي تكنفي بالإشارة إلى احتمال أهمية هذه الأربعين يوماً بالنسبة لرسالة المسيح . إن المعلقين الذين يريدون شرح كل شيء والتوفيق بين ما لا يقبل التوفيق يعطوننا في هذا الشأن تفسيرات شاذة .

فالتبعة الأناجيل الأربعة المتوافقة Synopse des 4 Evangiles التي نشرتها مدرسة الكتاب المقدس بالقدس عام ١٩٧٢ تحتوى على تعليقات شديدة الغرابة .

فحتى كلمة «صعود» موضوع للنقد التالى : «الواقع أنه لم يحدث صعود بالمعنى الفيزيقي نفسه ، فليس الله بأعلى أكثر مما هو بأسفل» (كذا ! ) . ولا يفهم القارئ جيداً معنى تلك الملاحظة ويتساءل كيف كان يمكن للوقا أن يصرح بهذا بشكل آخر . ويضاف إلى ذلك أن كاتب التعليق يرى «حيلة أدبية» في واقع أن «أعمال الرسل تقول إن الصعود قد حدث بعد أربعين يوماً من قيامة المسيح» ، و«الحيلة نفسها تهدف إلى التأكيد على أن فترة ظهور المسيح قد انتهت» . ولكنه يضيف أن إنجيل لوقا يحدد الحدث بمساء يوم الفصح ، حيث إن لوقا لا يضع أى فاصل بين مختلف الأحداث التي يسردها ، وبعد اكتشاف القبر فارغاً صباح القيامة» . . . «أليس هذا أيضاً حيلة أدبية تهدف إلى ترك فترة من الزمن بما يسمح للمسيح بالظهور بعد قيامته؟» (كذا) .

إن الشعور بالحرج النابع من تفسيرات من هذا النوع يتضح أكثر فأكثر في كتاب الأب روجي الذي يميز بين صعودين ! يقول :

«إذا كان الصعود ، من وجهة نظر المسيح ، يواكب القيامة ، فإنه لا يقع من وجهة نظر التلامذة إلا بعد أن يكف المسيح تماماً عن الظهور لهم حتى يرسل لهم الروح وحتى يبدأ عصر الكنيسة .»

وإذا كان ثمة قارئ غير قادر على إدراك الدقة اللاهوتية في تفكير الكاتب التي لم تكن تملك أى أساس من معرفة النصوص الإنجيلية ، فإن الكاتب يوجه إليه هذا التحذير العام وهو نموذج للإطناب في اللغة المديحية .

وهنا كما في كثير من الحالات المماثلة لا تبدو المشكلة بغير حل إلا إذا أخذنا حرفياً ومادياً

بدعاوى الكتاب المقدس مع تناسى معناها الدينى . وليس المقصود هو إذابة واقع الأشياء فى زمزية هلامية ، وإنما المقصود هو أن نبحث عن النية اللاهوتية لدى هؤلاء الذين يكشفون لنا الألباز عندما يعطوننا ، عن أمور محسوسة ، علامات تختص بالجذور المادية لعقليتنا .»

### أحاديث المسيح الأخيرة . ال Paraclet فى إنجيل يوحنا

يوحنا هو المبشر الوحيد الذى سرد ما حدث فى نهاية العشاء الأخير للمسيح وقبل القبض عليه ، أى آخر أحاديثه مع الحوارين ، وينتهى هذا الحدث بخطبة طويلة . فإنجيل يوحنا يفرد أربع إصحاحات (من ١٤ إلى ١٧) لتلك الرواية التى لا نجد لها أثراً فى الأناجيل الأخرى . ومع ذلك فهذه الإصحاحات من إنجيل يوحنا تعالج مسائل أساسية وآفاق مستقبل ذات أهمية بالغة وهى معروضة بكامل العظمة والجلال اللذين يميزان هذا المشهد لوداع السيد لتلامذته .

كيف يمكن أن نشرح الغياب التام فى أناجيل متى ومرقس ولوقا لرواية الوداع المؤثر الذى يحتوى على الوصية الروحية للمسيح ؟ يمكن أن نطرح السؤال التالى : هل كان النص موجوداً أولاً عند المبشرين الثلاثة الأولين؟ ألم يحذف فيما بعد ؟ ولماذا ؟ ولنقل فوراً إنه لا يمكن الإتيان بأية إجابة ، فاللغز مستغلقت تماماً بالنسبة لهذه الثغرة الكبيرة فى رواية المبشرين الثلاثة الأولين

إن ما يسود الرواية - وهذا مفهوم فى حديث أخير - هو مستقبل البشر الذى يتحدث عنه المسيح واهتمام السيد بالتوجه إلى تلامذته وإلى الإنسانية برمتها عبرهم ، معطياً إرشاداته وأوامره ومحددأ بشكل نهائى المرشد الذى على الإنسانية أن تتبعه بعد اختفائه . إن نص إنجيل يوحنا - وهذا النص وحده - يسمى بشكل صريح هذا المرشد باسم يونانى هو Parakletos الذى أصبح فى الفرنسية Paraclet . وها هى ذى الفقرات الجوهرية من هذه الخطبة حسب الترجمة المسكونية للعهد الجديد :

« إذا كنتم تحبوننى فستعملون على اتباع أوامرى ، وسأصلى للأب الذى سيعطيكم

Paraclet آخر .» ( ١٤ ، ١٥ - ١٦ ) .

ما معنى هذه الكلمة Paraclet . إن النص الذى نملكه حاليًا للإنجيل يوحنا يشرح معناها بالألفاظ التالية :

« ال Paraclet ، الروح القدس ، الذى سيرسله الأب باسمى سيبلغكم كل شيء وسيجعلكم تتذكرون كل ما قلت لكم » ( ١٤ ، ٢٦ ) .  
« هو نفسه سيشهد بى » ( ٢٦ ، ١٥ )

« رحيلى فائدة لكم ، لأننى إذا لم أرحل فال Paraclet لن يأتى إليكم ، وعلى العكس فإذا رحلت فسأبعث به إليكم . وهو بمجيئه سيذهل العالم فيما يخص الخطيئة والعدل والحكم . . » ( ١٦ ، ٧-٨ )

« عندما سيأتى روح الحقيقة ، فسيجعلكم ترقون إلى الحقيقة بكاملها ، لأنه لن يتكلم بإرادته وإنما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى . وسيمجدنى . . . » ( ١٦ ، ١٣-١٤ ) . ( ويلاحظ أن الفقرات التى لم تذكر هنا من الإصحاحات ١٤ إلى ١٧ من إنجيل يوحنا لا تعدل مطلقاً من المعنى العام للفقرات المذكورة ) .

وإذا قرأنا بسرعة فإن النص الذى يثبت تطابق كلمة Parakletos اليونانية على الروح القدس لا يجذب الانتباه فى كثير من الأحيان . وخاصة أن العناوين الثانوية للنص المستخدمة عموماً فى الترجمات بالإضافة إلى ألفاظ التعليقات المقدمة فى كتب التعليم العام توجه القارئ نحو المعنى الذى تريد الروح التقليدية إعطائه لهذه الفقرات . وإن حدث وصادف القارئ أقل صعوبة فى الفهم ، فالتحديدات موجودة كذلك التى يعطيها « المعجم الصغير للعهد الجديد » للأب تريكو A. Tricot وهى تعطى كل التوضيحات فتحت عنوان Paraclet كتب المعلق ما يلى :

« هذا الاسم أو هذه الصفة المنقول من اليونانية إلى الفرنسية غير مستخدم فى العهد الجديد إلا فى إنجيل يوحنا : فهو يذكر الكلمة أربع مرات عند سرده لخطاب المسيح بعد العشاء الأخير<sup>(١)</sup> ( ١٤ ، ١٦ و ٢٦ ؛ ١٥ ، ٢٦ ؛ ١٦ ، ٧ ) ومرة واحدة فى رسالته

( ١ ) الواقع أن المسيح ، فى قول يوحنا ، يلقى خطابه الطويل فى أثناء نفس هذا العشاء وفيه يتحدث عن ال Paraclet وهو خطاب لم يسرده المبشرون الآخرون .

الأولى (٢، ١). إن الكلمة في إنجيل يوحنا تنطبق على الروح القدس ، أما في الرسالة فهي تنطبق على المسيح . لقد كانت كلمة Paraclet سائدة لدى اليهود الهلنستيين في القرن الأول بمعنى الوسيط ، والمدافع . ( . . . ) فالمسيح يعلن أن الروح سيرسل بالأب والابن في دوره الإنقاذى الذى يؤديه فى أثناء حياته القانية على الأرض وذلك لصالح تلامذته . إن الروح يتدخل ويعمل كبديل للمسيح باعتباره Paraclet أو وسيط قادر على كل شيء . « إذن فهذا التعليق يجعل من الروح القدس مرشداً أسمى للبشر بعد اختفاء المسيح . فهل يتفق مع نص يوحنا ؟

لا بد من طرح المشكلة ، فبدئيًا يبدو غريباً أن ننسب إلى الروح القدس الفقرة المذكورة أعلاه والتي تقول : « لن يتكلم بإرادته وإنما سيقول ما يسمع وسيعرفكم بكل ما سيأتى » .

يبدو أن من غير المعقول أن ننسب إلى الروح القدس سلطان أن يتحدث وأن يقول ما يسمع . . . وفى علمى أن هذه المسألة التى يوصى المنطق بطرحها ليست عموماً موضوع أى تعليقات .

ولكى تكون لنا فكرة صحيحة عن المشكلة يجب الرجوع إلى النص اليونانى الأساسى وهذا أمر يساوى فى أهميته الاعتراف بأن يوحنا قد كتب باليونانية وليس بلغة أخرى . إن النص اليونانى الذى رجعنا إليه هو نص Novum Testamentum Graece ، طبعة نستلى والأند Nestle et Aland (١٩٧١) . .

إن أى نقد جاد للنصوص يبدأ بالبحث عن الاختلافات النصية . ويظهر هنا أن ليس فى مجموع المخطوطات المعروفة لإنجيل يوحنا نص آخر مختلف من شأنه أن يحرف المعنى سوى تلك الفقرة ١٤ ، ٢٦ من المخطوطة السريانية الشهيرة المسماة ب Palimpseste<sup>(١)</sup> والفقرة لا تشير إلى الروح فقط وإنما إلى الروح القدس . فهل هذا مجرد نسيان من قبل الناسخ أو أنه لم يجرؤ على كتابة ما بدا له أنه أمر غير معقول فى مواجهة نص يدعى أن الروح القدس

(١) مخطوطة كتبت فى القرن الرابع أو الخامس واكتشفها أنيس س. لويس Agnés S. Lewis عام ١٨١٢ بدير سيناء . وتحمل

المخطوطة هذا الاسم لأن النص الأول كان مغطى بنص آخر وعندما مسح هذا الأخير ظهر النص الأول .

يسمع ويتكلم؟ فيما عدا هذه الملاحظة وبعض الاختلافات النحوية التي لا تغير شيئاً من المعنى العام للنص ، فليس هناك مجال للإصرار على اختلافات نصية أخرى . وما يهم هو أن المعروض هنا عن الدلالة المحددة لفعلي «يسمع» و «يتحدث» يسرى على كل مخطوطات إنجيل يوحنا ومن ضمنها الحالة المعينة هنا .

وفعل يسمع entendre في الترجمة الفرنسية هو فعل Akouo باليونانية ويعنى استقبال أصوات . وقد أعطى الفعل اليونانى ، على سبيل المثال ، كلمة Acoustique بالفرنسية و"Acoustics بالإنجليزية وتعنى علم الأصوات .

أما فعل «يتحدث Parler» في الترجمة الفرنسية فهو فعل Laleo باليونانية ومعناه العام إصدار أصوات وخاصة صوت الكلام . ويتكرر هذا الفعل كثيراً في النص اليونانى وذلك للإشارة إلى التصريح الجليل للمسيح في أثناء تبشيره . يبدو إذن أن الاتصال بالناس المقصود هنا لا يكن مطلقاً في إلهام من عمل الروح القدس . إنما هو اتصال ذو طابع مادى واضح وذلك بسبب مفهوم إصدار الصوت وهو المفهوم المرتبط بالكلمة اليونانية التي تعرفه .

الفعالان اليونانيان Akouo وLaleo يعنيان فعلين ماديين لا يمكن أن يخصاً إلا كائناً يتمتع بجهاز للسمع وآخر للكلام . وبالتالي فتطبيق هذين الفعلين على الروح القدس أمر غير ممكن . إن نص هذه الفقرة من إنجيل يوحنا ، كما تسلمه لنا المخطوطات اليونانية ، غير مفهوم بالمرّة إذا ما قبلناه في تمامه مع كلمتي «الروح القدس» في الآية ٢٦ من الإصحاح ١٤ وهي : « Paraclet ، الروح القدس الذى سيرسله الأب باسمى . . . » إلخ . إنها الجملة الوحيدة في إنجيل يوحنا التي تثبت تطابقاً بين ال Paraclet والروح القدس .

ولكن إذا حذفنا كلمتي الروح القدس (to pneuma to agion) من هذه الجملة فإن نص يوحنا كله يقدم عندئذ دلالة شديدة الوضوح . ويضاف إلى ذلك أن هذه الدلالة تتخذ شكلاً مادياً وذلك من خلال نص آخر ليوحنا ، وهو نص الرسالة الأولى حيث يستخدم نفس هذه الكلمة Paraclet للإشارة ببساطة إلى المسيح باعتباره الوسيط لدى الله (١) .

(١) كثير من ترجمات الأناجيل والتعليقات عليها ، والقديمة منها على وجه خاص ، تترجم هذه الكلمة بالمعنى وهذا خطأ تام .

وعندما يقول المسيح ، حسب إنجيل يوحنا (١٦ ، ١٤) : «سأصلى لله وسيرسل لكم Paraclet آخر» فهو يريد بالفعل أن يقول إنه سيرسل إلى البشر وسيطاً «آخر» كما كان هو وسيطاً لدى الله وفي صالح البشر في أثناء حياته على الأرض .

ذلك يقودنا بمنتهى المنطق إلى أن نرى في ال Paraclet عند يوحنا كائناً بشرياً مثل المسيح يتمتع بحاستى السمع والكلام ، وهما الحاستان اللتان يتضمنهما نص يوحنا بشكل قاطع . إذن فالمسيح يصرح بأن الله سيرسل فيما بعد كائناً بشرياً على هذه الأرض ليؤدى الدور الذى عرفه يوحنا ولنقل باختصار إنه دور نبي يسمع صوت الله ويكرر على مسامع البشر رسالته . ذلك هو التفسير المنطقي لنص يوحنا إذا أعطينا الكلمات معناها الفعلي . إن وجود كلمتى «الروح القدس» فى النص الذى نملك اليوم قد يكون نابعاً من إضافة لاحقة إرادية تماماً تهدف إلى تعديل المعنى الأول لفقرة تتناقض ، بإعلانها بمجىء نبي بعد المسيح ، مع تعاليم الكنائس المسيحية الوليدة التى أرادت أن يكون المسيح هو خاتم الأنبياء .

## خاتمة

إن الأمور التي وردت هنا والتعليقات المذكورة عن كثير من المفسرين المسيحيين البارزين تؤدي إلى رفض الدعاوى الشكلية . وذلك بالاعتماد على الخط الذي تبناه المجمع الأخير . التي تخص بالتاريخية المطلقة للأناجيل التي يدعى أنها نقلت بأمانة ما فعله المسيح حقاً وما علم .

والحجج التي أعطيت تنتمي إلى فئات عدة :

أولاً : هناك العبارات المذكورة من الأناجيل فهي نفسها تثبت تناقضات جلية . إذ لا يمكن الاعتقاد بوجود أمرين متناقضين . ولا يمكن قبول بعض الأمور غير المعقولة أو دعاوى تتعارض مع المعطيات التي أثبتتها تماماً المعارف الحديثة . إن شجرتي أنساب المسيح اللتين تقدمهما الأناجيل بالإضافة إلى ما تحتويان عليه من أمور صحيحة . تأتيان بالبرهان في هذا الشأن .

وكثير من المسيحيين يجهلون هذه المتناقضات والأمر غير المعقولة أو التي لا تتفق مع العلم الحديث . وهم يصابون بالذهول عندما يكتشفون كل هذا : فقد ظلوا دائماً متأثرين بقراءة التعليقات التي تعطى توضيحات دقيقة تطمئنهم وتعين في ذلك الغنائية المديحية . ولقد أعطينا أمثلة مميزة للحدق بعض المفسرين في إخفاء ما يسمونه حياء « صعوبات » . الواقع أن فقرات الأناجيل التي اعترف بعدم صحتها نادرة جداً ومع ذلك أعلنت الكنيسة بقانونيتها .

لقد أوضحت دراسات نقد النصوص الحديث المعطيات التي تكون . في رأى الأب كانينجسر ، « ثورة في مناهج التفسير » والتي تؤدي إلى « عدم الأخذ بحرفية » الأمور الواردة بشأن المسيح في الأناجيل ، فهذه الأخيرة « كتابات ظرفية » أو « خصامية » . إن المعارف الحديثة وقد ألفت النور على تاريخ اليهودية - المسيحية والتنافس بين الطوائف توضح وجود أمور تحير قراء عصرنا ، لم يعد مفهوم المبشرين كشهود معانين قابلاً للدفاع وإن ظل حتى يومنا هذا مفهوم كثير من المسيحيين . إن مؤلفات مدرسة الكتاب المقدس بالقدس ( الأب

بينوا والأب بوامار) تثبت جيداً أن الأناجيل قد كتبت ونفخت وصححت أكثر من مرة . ولهذا ينذر هذان الكتابان قارئ الإنجيل بأن عليه أن يتخلى في أكثر من حالة عن سماع صوت المسيح المباشر .

إن الطابع التاريخي للأناجيل لا يسمح بأى جدل ، لكن هذه الوثائق تعلمنا قبل كل شيء وعبر الروايات الخاصة بالمسيح ، بعقلية الكتاب المتحدثين باسم الطوائف المسيحية الأولى التي كانوا ينتمون إليها وتعرفنا بوجه خاص بالخصومات بين اليهود المسيحيين وبين بولس : إن دراسات الكاردينال دانيلو تعتبر حجة في هذه النقاط . فكيف ندهش إذن لتثويه المبشرين لبعض أحداث حياة المسيح ، هؤلاء الذين كانوا يهدفون إلى الدفاع عن وجهات نظر شخصية . كيف ندهش لحذف بعض الأحداث ، كيف ندهش للطابع الروائي في بعض الأحداث الأخرى ؟

هذا يؤدي بنا إلى مقارنة الإنجيل بالشعر الملحمي في أدب القرون الوسطى . وإنها لموجية حقاً تلك المقارنة مع « ملحة رولان Chanson de Roland ، وهي أكثر الملحمة شهرة ، تلك التي تقص في شكل روائي حدثاً وقع بالفعل . هل يعرف القارئ أن هذه الملحة تقص حدثاً حقيقياً : كمين وقع فيه ظهر جيش شارلمان الذي كان يقوده رولان بممر رنسفو Roncevaux ؟ إن هذا الحدث ذو أهمية ثانوية قد وقع في قول الحولية التاريخية (ايجنهارد Eginhard في ١٥ من أغسطس عام ٧٧٨ م ، ولقد ضخم هذا الحدث حتى وصل إلى أبعاد أمر حرى ، معركة في حرب مقدسة . إن الرواية خيالية ، لكن هذا الخيال لا يجلب حقيقة إحدى معارك شارلمان التي قام بها ليؤمن حدوده ضد تسلل الشعوب المجاورة : تلك هي الصحة والشكل الملحمي للرواية لا يمحوها .

ونفس الأمر بالنسبة للأناجيل : فخيالات متى والمتناقضات الصارخة بين الأناجيل والأمور غير المعقولة وعدم التوافق مع معطيات العلم الحديث والتحريفات المتوالية للنصوص ، كل هذا يجعل الأناجيل تحتوى على إصحاحات وفقرات تنبع من الخيال الإنسانى وحده . لكن هذه العيوب لا تضع في موضع الشك وجود رسالة المسيح : فالشكوك تحيم فقط على الكيفية التي جرت بها .